

# أسس وخصائص الإلحاد الجديد

د/ عزيزة علي الأشول

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الاسلامية

الكلية الجامعية بالقنفذة المملكة العربية السعودية

الإيميل الجامعي / aaaamri@uqu.edu.sa

# ملخص البحث عربي

يمثل الإلحاد تحدياً كبيراً أمام الأوساط المتدينة، فالإلحاد مرض العصر، وهو مرض خطير يظهر ويختفي حسب ما تعيشه المجتمعات من طوارئ وأحداث تحفز التمرد علي الأديان والأعراف، وقد ظهر الإلحاد كأفكار تسندها مؤسسات لأول مرة في التاريخ مع الشيوعية، وبعد انهيارها ظل الإلحاد ولكنه فقد الدعم المؤسسي الذي وفرته له الشيوعية، وعاش الملاحدة فرادي وجماعات ليس لهم تأثر كبير في الأوساط العلمية، إلي أن كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وهنا ظهر الإلحاد في ثوب جديد مستخدماً موجة العداء للتطرف والمتطرفين، مطوراً أدوات جديدة أكثر عنفاً وفاعلية في الأوساط العلمية والشعبية، وفي عام ٢٠٠٦م ظهر مصطلح (الإلحاد الجديد) ليمثل تحدياً معاصراً للأديان؛ وخاصة الإسلام، فكان من الواجب علي المسلمين القيام لرد هذا التحدي عبر تحليل وتشريح هذه الظاهرة والتعرف علي خصائصها وأهدافها، أملا في تطوير خطة ناجعة للتغلب عليه، فكان هذا البحث محاولة في القيام بهذا الواجب، ويتناول البحث التعريف بالإلحاد الجديد، ومدي علاقته بالإلحاد القديم – إن جاز التعبير–، **وكذلك** تحليل ظاهرة الإلحاد الجديد، والتعرف علي أسسه ومنطلقاته الفكرية، وأيضا التعرف علي أثر الاتجاهات الفكرية الغربية المعاصرة علي ازدهار الإلحاد الجديد، ومدي ما رفدت به هذه الفلسفات الإلحاد الجديد من مفاهيم وأدوات وأدلة تقوي موقفه في مقابلة المتدينين، وكذلك التعرف علي أبعاد توظيف النظريات العلمية ومنجزات العلوم التجريبية في صياغة وتدعيم الإلحاد الجديد، ويركز البحث علي أبرز خصائص الإلحاد الجديد، وارتباط هذه الخصائص بالأسس المعرفية والفلسفية التي قام عليها بنيان الإلحاد الجديد.

**الكلمات المفتاحية :** الإلحاد، الجديد، أسس، سمات، خصائص

The foundations and characteristics of the new atheism

Dear Ali Ashoul

Department of Islamic Studies, University College, Al-Qunfudhah, Saudi Arabia

Email: aaaamri@uqu.edu.sa

Abstract:

Atheism represents a great challenge for religious circles. Atheism is the disease of the age, a dangerous disease that appears and disappears according to the emergency and events experienced by societies that stimulate rebellion against religions and customs. Atheism appeared as ideas supported by institutions for the first time in history with communism, and after its collapse, atheism remained, but it lost support. The institutionalization provided by communism, and atheists lived individually and in groups with no significant influence in the scientific community, until the events of September ١١, ٢٠٠١ AD, and here atheism appeared in a new dress using the wave of hostility to extremism and extremists, developing new, more violent and effective tools in scientific and popular circles In ٢٠٠٦, the term (new atheism) appeared to represent a contemporary challenge to religions. especially Islam, It was the duty of Muslims to respond to this challenge by analyzing and dissecting this phenomenon and identifying its characteristics and objectives, in the hope of developing an effective plan to overcome it. - As well as analyzing the phenomenon of new atheism, identifying its intellectual foundations and starting points, and also identifying the impact of contemporary Western intellectual trends on the flourishing of the new atheism, And the extent to which these

philosophies provided the new atheism in terms of concepts, tools and evidence that strengthen its position in confronting the religious, as well as identifying the dimensions of employing scientific theories and the achievements of experimental sciences in formulating and strengthening the new atheism. It builds a new atheism.

Keywords: atheism, the new, foundations, traits, characteristics

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله – صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً وبعد ,,,,

فالإلحاد هو مرض العصر، وهو التحدي الأكبر للمتدينين عموماً وللمسلمين علي وجه الخصوص، ذلك أن أعداء الأمة حاولوا أن يزحزحوا الأمة عن دينها باعتناق أديان أخري، فلم يفلحوا في ذلك لضحالة الفكرة في الأديان غير الإسلام، وذبول جذوة الروحانية في تلك الأديان، ومع تكرار المحاولات وبذل كثير من الجهود والأموال في هذا المضمار؛ إلا أن جهودهم باءت بالفشل الذريع، ليتحول هدفهم إلي زحزحة المسلم عن إيمانه دون دعوته لدين غير دينه؛ فيكفيهم أن يخرج المؤمن من الإسلام ويبقي همجاً دون دين يضبط سلوكه، ويضمن له بقاء الذاتية وعدم الانمياع في تيار الشهوات الجارف، فأعداء الأمة يريدون أبناءها عبيداً لشهواتهم وتبعاً لكل من يرفع لواءها، ولذلك كان الإلحاد هو التحدي الأكبر بالنسبة للمتدينين عموما والمسلمين على وجه الخصوص.

وانطلاقاً من خطورة هذا التحدي علي حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها كان لابد من تشريح هذا الإلحاد في ثوبه الجديد، والتعرف علي منطلقاته الفكرية، وأسسه الأيدولوجية، وديناميكانية عمله ودعاياته، وما يميز هذه الهجمة الإلحادية المعاصرة عما سبقها من موجات إلحادية، قياماً بواجب الوقت ودفاعاً عن حاضر المسلمين ومستقبلهم، وإبراءاً للذمة أمام الله – تعالي– .

وتقوم فكرة البحث علي ما يلي:

أولاً : التعريف بالإلحاد الجديد، ومدي علاقته بالإلحاد القديم – إن جاز التعبير– .

ثانياً: تحليل ظاهرة الإلحاد الجديد، والتعرف علي أسسه ومنطلقاته الفكرية.

ثالثاً: التعرف علي أثر الاتجاهات الفكرية الغربية المعاصرة علي ازدهار الإلحاد الجديد، ومدي ما رفدت به هذه الفلسفات الإلحاد الجديد من مفاهيم وأدوات وأدلة تقوي موقفه في مقابلة المتدينين.

رابعاً: التعرف علي أبعاد توظيف النظريات العلمية ومنجزات العلوم التجريبية في صياغة وتدعيم

الإلحاد الجديد.

خامساً: التعرف علي أبرز خصائص الإلحاد الجديد، وارتباط هذه الخصائص بالأسس المعرفية والفلسفية التي قام عليها بنيان الإلحاد الجديد.

وقد عالجت هذه المسائل بصورة مختصرة وعميقة، تظهر فيها آثار الغصة التي تصيب كل مؤمن غيور علي دينه، واتبعت المنهج التحليلي، فهو خير وسيلة في تتبع أسس الإلحاد الجديد، وتوضيح أبرز سماته، واعتمدت علي مجموعة كبيرة من المراجع التي تعبر تعبيراً صادقاً عن روح الإلحاد الجديد، وتطرح قضاياه بوضوح ودقة، وأسال الله – تعالي – أن يجعل هذا الجهد مشكوراً عند الله، ومقبولاً عند أهل العلم، ويكتب له القبول والنفع به عند عامة المسلمين، والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

# التمهيد

## التعريف بالإلحاد الجديد

إن المتأمل في تاريخ الفكر الغربي يدرك أن الغرب مولع باختراع مصطلحات عديدة لمعني واحد، فالإلحاد الجديد هو الإلحاد القديم لم يتغير في الأمر شيء، ولكنه الولع الغربي باختراع المصطلحات التي تجذب الانتباه وتحيي موات القضايا والأفكار.

ويتضح هذا المفهوم في اختراع مصطلح الإلحاد الجديد، فمع خلوه عن "ماصدق" واضح المعالم، إلا أنه تميز بإحيائه النظرة المادية للإنسان والكون، واستبعاد النظرة الدينية للكون والحياة – كغيره من التيارات الإلحادية – ، وإعطاء مساحة أكبر لتأكيد ذاتية الإنسان تجاه الذات الإلهية، وتصوير العلاقة بين الله والإنسان تصويراً شائناً؛ حيث اعتبر وجود الله سبباً في تضاؤل شخصية الإنسان وحريته، وفي كل مظاهر البؤس التي عاشها ويعايشها الإنسان[١] .

فالإلحاد الجديد يستخدم نفس القضايا والأدلة التي كان يستعملها الملاحدة قديما، لم تتغير الفكرة ولا الاستدلال عليها، كل ما في الأمر أنه طرأ تغيير في استراتيجيات عرض قضايا ومضامين الإلحاد، وصار الإلحاد وأهله أكثر جرأة في طرح أفكارهم وآرائهم.

فمن الخطأ الظن بأنّ الإلحاد الجديد يقدم محتوي جديدا أو اعتراضات جديدة علي الدين، بل ومن التدليس علي القارئ والسامع إيهامه بأنّ الإلحاد بمعني نفي وجود الإله قديم قدم الإنسان، أو قدم البحث عن الإله؛ والحق أنه لا يمكن طرح هذه المسألة علي علاتها، فليس من العدل أن نصم البشرية بأنها ألحدت منذ أن عرفت معني الإيمان.

وبعد البحث والتقصي واستقراء تاريخ تطور الفكر البشري أمكن لنا الوصول إلي حقيقة مفادها أن "مصطلح (الملحد) ظل ينعت لمدة طويلة من يؤمن بإله جارٍ أو غريب أو مبتدع أومخالف لصورته الرسمية؛ فهو ليس ذلك الشخص الذي يفرغ السماء بل إنه الذي يملؤها

١ – راجع هذا المعني في كتاب الإلحاد والاغتراب: باتريك ماسترسن ، ترجمة هبة ناصر ، مراجعة إبراهيم الموسوي، ط المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت) أولي ٢٠١٧م، ص ١٤.

بمخلوقاته الخاصة"[1].

فمصطلح الإلحاد الجديد مصطلح خادع يعطي الإلحاد مشروعية لا يستحقها، ويتماشي مع الطبيعة الإعلامية للإلحاد الجديد؛ فهو إن جاز التعبير أيدلوجية دعائية فارغة من المعني الفلسفي والقيمي العميق، ويفتقر إلي "ماصدق" حقيقي، ويدل علي ذلك أن هذه التسمية حديثة، وذات طابع دعائي بحت من دون محتوي فكري أو فلسفي جديد[2].

ومع هذا فنحن مضطرون لمجاراة هذا الاصطلاح الجديد، إذ القاعدة الإسلامية تقضي بأنه "لا مشاحة في الاصطلاح".

---

١ – علم نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، ترجمة مبارك العروسي، منشورات الجمل (كلونيا – ألمانيا، بغداد – العراق)، أولي ٢٠١٢م، ص ٣٢.

٢ – راجع مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صالح العجيري، ط. تكوين للدراسات والأبحاث، ثانية ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م ، ص ١٧، وكذلك خرافة الإلحاد: عمرو شريف، ط دار الشروق (القاهرة) أولي ٢٠١٤م، ص ٣٠ – ٣١. وكذلك وهم الإلحاد: عمرو شريف، تقديم د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر، شهر المحرم، عام ١٤٣٥هـ، ص٢٩.

# المبحث الأول

# الأسس الفلسفية للإلحاد الجديد

لكل فكرة أسس ومنطلقات تنطلق منها، ولا يمكن لها أن تظهر دون مقدمات وممهدات لظهورها، وفكرة الإلحاد الجديد لها من المقدمات والممهدات والأسس ما ساعد على ظهورها بهذه الصورة المعاصرة، والحق أن الإلحاد ظاهرة معقدة تتداخل فيها العوامل (الفلسفية والعلمية والنفسية)، وتتماهي كل هذه العوامل في تدعيم بنية الإلحاد (الجديد) وهذا ما يزيد الظاهرة تعقيدًا.

بيد أن المشروعية لبحث ظاهرة ما تكون من خلال إيجاد أرضية فلسفية وفكرية لها، وهذا ما سنحاول تقصيه وإيجاده لظاهرة الإلحاد، عبر البحث عن الأسس الفلسفية والمبررات الفكرية لظهور وازدهار هذا الإلحاد (الجديد). وبالبحث أمكننا حصرها في عدة أمور، وهي: (الفسلفة المادية الغربية – فكرة وفلسفة التقدم – مشكلة الشر)، وسنفصل هذا الاجمال فيما يلي :

## المطلب الأول

## الفلسفة المادية الغربية

يستند الإلحاد (الجديد) إلي مفاهيم الفلسفة المادية بشكل أساسي في بناء تصوره عن الكون والحياة، ولم يكن الإلحاد كتيار واتجاه فكري هو الوحيد الذي اعتمد علي أسس المادية، بل إن الفكر الغربي الحديث عموما ينبني على هذه النظرة المادية للحياة، فقد آمن الغربيون بالمذهب المادي الذي يقوم علي مجموعة من الافتراضات مؤداها: "أن الوجود قديم، وأن المادة هي مصدر كل كائن ومرجعيته، تلازمها خصائص لا تنفك عنها، تصلح لأن ترقي بها من الجماد الذي لا يعي إلي أكبر فيلسوف ألمعي، بتدرجها في أطوار متعاقبة مقودة بنواميس ثابتة عاملة علي نظام آلي بحت، لا أثر للعقل ولا للشعور فيه، فكل ما يفتك من آثار التدبير والتعقل ينتهي بالتحليل العلمي – المادي – إلي المادة الأولية، وخصائصها الذاتية، وكل ما عدا هذا مما أتت به الأديان والفلسفة من وجود عقل مدبر، وروح مفكر، وعالم وراء هذا العالم فزخارف كلامية"[١]، وقد أثمرت هذه النظريات اهتماماً بعالم المادة نتج عنه تقدم مذهل في كافة فروع العلم ونجاحات خارقة في مجال الصناعة والتقنية.

وفي المقابل نشأ عن هذه الثقافة المادية فقدان للاتجاه الصحيح في الروحانيات، وظهور العبثية التي تصور العالم على أنه نتاج صدفة عمياء، وأنه لا معنى للوجود، مما أدى إلى انقطاع الصلة بالأخلاق والقيم الإنسانية، ونشأ ما يسمى بمنطق الأمر الواقع وأخلاق الصيرورة التي تستمد قيمتها من الواقع المتغير وليس من مرجعية عليا ثابتة وبمعني أوضح "أخذت هذه الفلسفة الحديثة عنواناً عريضاً مارسته بقوة وفاعلية وهو عنوان النقد والحفر الفكري المعرفي المعتمد علي العقل وحده، وبذلك قطعت صلتها بالفكر الفلسفي الميتافيزيقي السابق ذي الصبغة اللاهوتية"[٢].

١ – علي أطلال المذهب المادي: محمد فريد وجدي، ط مطبعة دائرة معارف القرن العشرين (مصر)، ١٩٣١م، ص ٣.

٢ – المادية مقاربة نقدية في البنية والمنهج: نبيل علي صالح، ط. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت) أولي ٢٠١٨م، ص ٣٦، بتصرف يسير.

ومما يميز هذه العقلية المادية: الإغراق في معرفة التفاصيل والجزئيات على حساب النظرة الكلية العامة، فأصبح الغرب قادرا على إجابة أدق الأسئلة المتعلقة بكيفية عمل الأجهزة الحيوية والأعضاء الحيوانية والبشرية والنباتية، إلا أنه في نفس الوقت غير قادر على الإجابة عن الأسئلة الكلية المتعلقة بهذه الموجودات (كيف نشأت؟ ولماذا نشأت؟ وما هو مآلها؟).

بل حتى في جانب التاريخ يجد الغرب إشكالية كبيرة في التعامل معه وفهمه، وذلك أن التاريخ بنية غير مادية، فلا يمكن للعقل المادي أن يتعامل معها بكفاءة[1].

ومع غياب البعد الروحاني في الحضارة الغربية المعاصرة كان من الطبيعي أن يفرز هذا الفكر المادي اختزال الإنسان في ثالوث الإنتاج والاستهلاك والاستمتاع. والنتيجة الطبيعية لهذا التصور المشوه للكون والحياة والإنسان غياب الفكر الديني عن الساحات الفكرية، وضعف الإيمان بالإله، وازدهار التيارات المعادية للدين - ومنها الإلحاد بطبيعة الحال -[2].

فالفكر المادي المعاصر هو الأساس المتين الذي بنيت عليه كل الاتجاهات الفكرية والفلسفية التي تعادي الدين، ومنها (الإلحاد)، وحتي ندلل علي صدق هذه المقدمة، نستعرض أسس الفلسفة المادية حتي نقف علي علاقتها الوطيدة بالإلحاد.

وقد لخص د/ عبد الوهاب المسيري أسس الفلسفة المادية فيما يلي :

١- الإيمان بوحدة الطبيعة، فالطبيعة شاملة لا انقطاع فيها ولا فراغات، فهي الكل المتصل، وما عداها مجرد جزء ناقص.

٢- الإيمان بقانونية الطبيعة (لكل علة سبب)، والطبيعة شيء منتظم متسق مع نفسه، فكل سبب يؤدي إلى النتيجة نفسها في كل زمان ومكان.

٣- الإيمان بأن الطبيعة بأسرها خاضعة لقوانين واحدة ثابتة منتظمة صارمة حتمية مضطردة وآلية، وبأنها كذلك رياضية واضحة، ولذا فهي لا تقبل أي خصوصيات.

(١) الإلحاد مشكلة نفسية: عمرو شريف، دار نيوبوك للنشر والتوزيع- (القاهرة)، أولي ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م. (ص٤٩-٥٠) بتصرف

(٢) المرجع السابق: (ص٥٣) بتصرف.

٤- الإيمان بأن الطبيعة تتحرك بشكل تلقائي، وبأن الحركة أمر مادي.

٥- الإيمان بأنه لا يوجد غائية في العالم المادي، فالطبيعة قوة متعينة لا تكترث بالخصوصية ولا بالتفرد الإنساني، فالإنسان لا مكانة خاصة له في الكون، فهو لا يختلف في تركيبه عن بقية الكائنات.

٦- الإيمان بأنه لا توجد غيبيات أو تجاوز للنظام الطبيعي من أي نوع، فالطبيعة تحوي داخلها كل القوانين التي تتحكم فيها وكل ما تحتاج إليه لتفسيرها(١).

وكنتيجة مباشرة لتبني الملاحدة الفلسفة المادية التي لا تري وجوداً لغير المحسوسات، أنكروا عالم الغيب وإمكانية التأثير في العالم من خارجه، "وتلقاء هذه النظرة لن يقبل الملحد الأمر القدسي (الإله – عالم الغيب)، لأنه بالنسبة إليه أمر واقع فوق قدرته علي الإحاطة والاستقبال، وما ذاك إلا لاستغراقه بعالم الموجودات الحسية ، وامتناعه عن استشعار الجود الإلهي الموجد لهذا العالم"(٢).

فرفض الإلحاد لوجود الإله وعالم الغيب ما هو في حقيقته إلا تطور للمادية ودرجة متطرفة منها، يقول المسيري: "والإيمان بالطبيعة/ المادة كسقف واحد للوجود الإنساني هو المادية، والفلسفة المادية هي المذهب الفلسفي الذي لا يقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة (الطبيعية والبشرية)، ومن ثم فهي ترفض الإله كشرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه إن كان متجاوزا للنظام الطبيعي المادي"(٣).

مما سبق يتضح مدي ارتباط الإلحاد بالفلسفة المادية، وبنائه علي مفاهيمها وقضاياها حول الكون والإنسان.

ولعلنا بقليل من النظر ندرك ضعف هذا الأساس الإلحادي، ذلك أن هذه الفلسفة المادية

(١) عبدالوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط دار الفكر(دمشق- سوريا)، دار الفكر المعاصر- (بيروت- لبنان) ثانية٢٠٠٧م. (ص١٥-١٦)

٢ – تدني الإلحاد: محمود حيدر مقال ضمن مجلة الاستغراب – مجلة فصلية – عدد ٧ السنة الثالثة ٢٠١٧م، ص ١٢.

(٣) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، (ص١٦).

فقدت كثيرا من جاذبيتها، بل لا أبالغ إذا ما قررت أنها فقدت مصداقيتها في كثير من الدوائر الفلسفية والعلمية والدينية بطبيعة الحال؛ ذلك أن الفلسفة المادية تقوم علي افتراض غيبي وعقيدة في أساسها، فالعلم التجريبي بأدواته ووسائله لا يمكنه أن يؤكد بأدلة قاطعة أزلية المادة، ولا حتي نفي وجود غير المحسوس من الأشياء، وبالتالي يكون الحكم بأزلية المادة، ونفي وجود غير المحسوسات فرضية عقائدية[١] تقبل النقض لأنها لا تقوم علي أساس من التجريب أو الإخبار الصادق – كما في الدين الإسلامي مثلاً –.

فرد الأشياء إلي عوامل طبيعية – خاصة غير المحسوس منها كالفكر والشعور وغيرها من الأشياء التي ندرك آثارها وتغيب عنا حقيقتها – حكم جائر لا تستسيغه العقول[٢].

ومن الجدير بالذكر أن الفلسفة المادية فقدت ظهيرها العلمي من العلم التجريبي؛ حيث إن المفاهيم والنظريات العلمية التي استفادت منها الفلسفة المادية بطل استخدامها، وتجاوزتها النظريات العلمية والتطبيقات التكنولوجية، "إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي هي: أن الحقيقة كلها تكمن في المادة، وهذا كان رأياً مقبولاً بعض القبول في آخر القرن الماضي – يعني القرن التاسع عشر –، غير أن أموراً كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي"[٣].

وهكذا يتبين لنا أن الفلسفة المادية فقدت مصداقيتها، وبطل استخدامها عند ذوي العقول، ولكن مازال الملاحدة يعولون علي مفاهيمها الزائفة، ويبنون عليها كثيراً من أدلتهم، مما يؤكد تداعي بنيانهم وتهاوي أدلتهم عند مقابلتها بالحق الأبلج (الرسالة الإسلامية الخالدة).

---

١ – علي أطلال المذهب المادي، مرجع سابق، ص ٥– ٦

٢ – راجع للمزيد حول هذه الفكرة: موقف القرآن الكريم من الفكر المادي: محمد طالب مدلول، ط. دار الكتب العلمية (بيروت)، ص ٢٥ .

٣ – العلم في منظوره الجديد: روبرت م. أغروس – جورج .ن ستانيسو، ترجمة: كمال خلايلي، ط. عالم المعرفة (الكويت)، عدد ١٣٤ عام ١٩٨٩م، ص١٦.

## المطلب الثاني

## فكرة التقدم

يستند الإلحاد (الجديد) إلى فكرة أن الإنسان يسير بخط تقدمي نحو الأمام في سبيل الوصول إلى أقصى حد ممكن من الحرية والاستقلال التام، وكما أن الإنسان عاش التطور البيولوجي بحسب نظرية التطور؛ فإنه كذلك يعيش التطور النفسي والعقلي، فيرتقي من حالة البدائية والهمجية إلى نهاية تحتضن مجتمعا تام العقلانية والتحضر كما يقول فيلسوف التاريخ كلينغوود (ت: ١٩٤٣م).

فالإلحاد هو التطور الطبيعي للفكر الربوبي الذي ثار علي التصور الكنسي للألوهية في بدايات عصر النهضة، ورغم أن هذا المذهب التأليهي يدعو إلي الإيمان بالله، وينبذ الإلحاد والوثنية، فإنه أصبح بمضي الوقت السبب في تقويض الدين من أساسه"[١].

والحق أن الإلحاد لم يكن بدعاً في توظيف فكرة (التقدم) في بنائياته، بل إن فرضية (التقدم) كانت وما زالت كامنة في الوعي الغربي عموما[٢]، ولها حضور قوي جدا فيه، خاصة في القرن التاسع عشر، يقول رونالد سترومبرج: "كان التقدم هو القاسم المشترك بين جميع أيديولوجيات القرن التاسع عشر"[٣].

ويقول أحمد صبحي: "سادت نظرية التقدم عصر التنوير عقب الكشوف العلمية في القرن السابع عشر، الأمر الذي دعم ثقة الإنسان في المستقبل واستعلائه على الماضي، فلم تكن نظرية التقدم مجرد آراء يرددها مفكرون وإنما كانت اقتناعا لدى أهل ذلك العصر"[٤].

ويقول تشارلز بيرد في مقدمته لكتاب فكرة التقدم: "ليس هناك من بين المعتقدات التي ذاعت بين الناس في أحوالهم العامة والخاصة زهاء مائتي السنة الأخيرة ما فاق فكرة التقدم في

---

١- الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، ط دار سينا ( القاهرة)، دار الانتشار العربي (بيروت)، ص ١١٥.

(٢) ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان: عبدالله بن سعيد الشهري، ط. مركز نماء للبحوث والدراسات – بيروت، أولى ٢٠١٤م. (ص٣٤).

(٣) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث: ونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، ط. دار القارئ العربي، ثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. (ص٤٣١).

(٤) في فلسفة التاريخ: أحمد محمود صبحي، ط. مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية، ١٩٧٥م. (١٧٧).

أهميتها"، وقد مثلت هذه النظرية (التقدم) ثورة هائلة علي المفاهيم الدينية التي تري أن الحياة رهن بأطوار محددة سلفاً، "لقد كان قدامى الكتاب باستثناء أمثلة قليلة محصورين في دائرة مفرغة يظنون أن البشرية تدور في سلسلة من الأطوار أو المراحل .. وأن العالم يصل إلى نهايته يوما ما، وأن ليست الحياة على الأرض غاية في ذاتها، ولكنها أشبه بتمهيد للجنة أو الجحيم، ولم تخطر ببال البشرية فكرة وجود مستقبل زاهر لأبنائها الفانين دون الحاجة إلى الإشارة إلى أية حياة آتية ممكنة، إلا بعد أن حررتها التجارة والمخترعات والعلوم الطبيعية من استعباد فكرة الدورات وأساطير المسيحية، فتيسر لها تسخير العالم المادي لصالح الإنسان والتزويد بالعوامل المساعدة على ظهور حياة طيبة على هذه الأرض، وفي الوقت المناسب عندما آن الأوان ظهرت فكرة التقدم في العالم الغربي"(١).

ولكي ندرك أبعاد توظيف الإلحاد لنظرية (التقدم) في تدعيم بنائه الجديد يجدر بنا أن نتعرف علي معني نظرية (التقدم)؛ ففي تفسير معنى التقدم يقول بيوري: "تعني هذه الفكرة تحرك الحضارة واستمرار تحركها في الحاضر والمستقبل في اتجاه مرغوب"(٢).

ولاشك أن الملاحدة يعتقدون أن الإلحاد تطور في الاتجاه المرغوب تماماً، فهو يحرر الإنسان من سيطرة الإله، ويؤكد علي تفرد الإنسان ومكانته في الكون، ويحرر الإنسان من سيطرة الأديان –؛ فالأديان بنظرهم هي مصدر الشرور والبلاء الذي يعيشه الإنسان(٣)، وبالتالي فتحرره منها عبر الإلحاد يعتبر تقدماً هائلاً مرغوباً وضرورياً .

فبعيداً عن الإخبارات الدينية عن أحوال الماضي أو تنبؤها بالمستقبل، نشأت وتطورت فكرة التقدم عبر التحليل الواعي لواقع الناس وواقعية التطور الحضاري، الذي يثبت دوام التقدم في خط لا ينتهي، يعتمد علي تطور الفكر البشري وأدواته في البحث والاختراع دون الحاجة لمحرك خارجي (الإله) "ففكرة التقدم نظرية تتضمن مواءمة بين الماضي والتنبؤ بالمستقبل، فهي مبنية

(١) فكرة التقدم: ج.ب. بيوري، ترجمة: أحمد حمدي محمود، المجلس الأعلى للثقافة– مصر، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م (ص٥–٦).
(٢) المرجع السابق: (ص٣٠).
٣ – راجع الدين محور الشر: سارة آدم مقال ضمن مجلة الملحدين العرب – مجلة شهرية رقمية – عدد ٤ عام ٢٠١٣م ، ص ٢٩ .

على تفسير للتاريخ يرى الناس يتقدمون تقدما حثيثا في اتجاه محدد مرغوب فيه، ويستخلص من ذلك أن يستمر هذا التقدم إلى غير حد ... ثمة ناحية متضمنة أخرى: فلا بد أن تكون عملية التقدم نتيجة محتومة للطبيعة النفسية والاجتماعية للإنسان، فلا ينبغي أن نقع تحت رحمة أية إرادة خارجية، ولولا هذا لما وجد ضمان لاستمرارها وتفجرها، ولانتهى الأمر إلى ترديها إلى فكرة النعمة الإلهية"(١).

وهذا الكلام يتضمن الإشارة إلى نقطتين مهمتين:

الأولى: أن التقدم ضروة لا فكاك عنها للحياة، فهي ملازمة لطبيعة الكون وبنيته.

الثانية: أن التقدم هو فعل إنساني محض، وليس ناشئا عن تدبير أو توجيه إلهي.

ولا يخفي أثر هذه المفاهيم في تدعيم بنية الإلحاد، بل وكل التيارات المعادية للدين التي تسعي لتأكيد الفاعلية الإنسانية تجاه ما تؤكده الأديان من شمول وإحاطة القوة الإلهية، فنظرية (التقدم) كانت هي المحرك الأساسي لكل النظريات المعادية للدين في الغرب، ومع تعدد المعاني المستفادة من نظرية (التقدم) إلا أنها في النهاية تدعم بكل معانيها بنية الإلحاد والتمرد علي الأديان، وهذا ما سيتضح عند استعراض معان التقدم فيما يلي:

١- معنى تطوري: بعد أن دعت نظرية التطور إلى مفهوم التقدم حتى التبست به، وأنه وفقا للتطوريين تصبح الطبيعة الإنسانية أسمى حصيلة لعملية التطور ذاتها، ومن ثم فإن التقدم التاريخي متضمن في قانون الطبيعة، ذلك أنه لما كانت عملية التطور حتمية وقد أدت بالإنسان أن يصبح على رأس الكائنات الحية كان معنى التقدم متضمنا في الطبيعة ذاتها، فالإنسان بوصفه ابنا للطبيعة خاضع للقانون الطبيعي، ومن ثم فإن مسار التاريخ لا بد أن ينطوي على تطور نحو ما هو أسمى.

٢- معنى فلسفي مذهبي: حيث اتخذ مفهوم التقدم طابع نظرية شاملة في فلسفة التاريخ، فهو تقدم نحو حرية الروح بوعيها لذاتها لدى "هيجل" ونحو المجتمع اللا طبقي لدى "ماركس".

٣- معنى سياسي: مكن له المد الاستعماري في القرن التاسع عشر، فحين وصلت الإمبراطورية

---

(١) فكرة التقدم، مرجع سابق، (ص٣١-٣٢).

البريطانية أوج عظمتها أصبح التقدم قضية مسلما بها لدى المؤرخين، فالتاريخ عند لورد أكتون علم التقدم، ويجب أن يكتب على أنه تقدم الإنسان، ولقد أشار "برتراند رسل" إلى أنه نشأ وسط تيار جارف من التفاؤل في العصر الفيكتوري.

٤- معنى حضاري: نتيجة لتقدم العلم من جهة وتطور الأنظمة السياسية نحو الديمقراطية من جهة أخرى فشاعت أفكار السيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان وسعادته، يقول "وامبنيه": سيشهد المستقبل نموا لا حد له لسيطرة الإنسان على الطبيعة وتسخيرها لصالحه، كما أصبح الحديث عن الحرية السياسية والحقوق المدنية وإلغاء العنصرية"(١).

ومن الجدير بالذكر أن نظرية (التقدم) تقدم دعماً هائلاً للإلحاد، وتعطي وجوده مشروعية وحصانة، بل لا أبالغ إذا قلت إنها تجعل من عودة سيطرة المفاهيم الدينية ضرباً من الخيال، فلا يمكن للماضي أن يعود مرة أخرى، فمع تقدم التكنولوجيا والعلم الحديث يصبح الكلام عن الغيب وعن أساب غير مادية مستحيلاً؛ فقد قُضي تماماً علي الجهل العام الذي تستغله الأنظمة السياسية والدينية المستبدة – علي حد زعم أنصار هذه النظرية –، وهذا ما يقرره "بيوري"، فيقول: "يلوح من المعقول أن نزعم أيضا أن التكنولوجيا قد أحدثت آثارا اجتماعية أخرى ستجعل التكرار الدقيق لما حدث في الماضي أمرا مستحيلا، فلقد ساعدت الصحافة والإذاعة والسكك الحديدية والخدمات البريدية والمنظمات التعليمية العديدة على القضاء على الأمية وتوزيع المعلومات وتوسيع الوعي الاجتماعي عند جموع الشعب. وربما تعطل هذا الاتجاه هنا وهناك ومن حين لآخر بتدخل أنظمة الرقابة والطغيان، وإن كان القضاء على الجهل الجماعي سيسير قدما إلى الأمام بخطى واسعة، وهكذا سيصبح من المحال تصور رجوع قاعدة من الجهل الجماعي كتلك التي اعتمدت عليها أرستقراطية ملاك الرقيق في روما، والنظام الكهنوتي الإقطاعي في العصور الوسيطة، وفقا لهذا الافتراض الموثوق به، لن يتوقع عودة ظهور ما جرى في الماضي السحيق، مهما حدث مستقبلا"(٢).

وهذا يدل بوضوح على أن فكرة التقدم ارتبطت بشعور الإنسان الغربي بأنه قد حقق إنجازات

---

(١) في فلسفة التاريخ: مرجع سابق، (ص١٧٨-١٧٩).

(٢) فكرة التقدم: مرجع سابق، (ص١٧).

كبيرة وقفز قفزات ضخمة لم يكن أحد يتوقعها، ومع تسارع هذه القفزات وتطورها بدأ يترسخ في الذهن الغربي أنه يسير بخطى واثقة إلى صناعة الفردوس الأرضي من خلال هذه التقنيات، وبدأت فكرة الحياة الآخرة والجنة الأخروية تنزاح عن العقلية الأوروبية، وهذا كان أحد العوامل المهمة التي شجعت على بروز الإلحاد وظهوره.

وكذلك ينبغي التنبه إلي الارتباط بين فكرة التقدم وبين التفكير المادي والتخلص من القيود الدينية والأخلاقية "فثمة شرطان يساعدان على ازدهار فكرة التقدم – وقد نبه إليهما بيري– وبرزا بوجه خاص في الولايات المتحدة: التحرر من صرامة التعليم الكلاسيكي، والتركيز على المسائل العلمية"(١)، مما يؤكد علي الطابع المادي للتعليم، وهو ما يساعد بدوره في ترسيخ الإلحاد والتمكين له في الأوساط العلمية والشبابية.

ومما يدعم افتراضنا عن تأسيس الإلحاد (الجديد) علي نظرية (التقدم)، واكتساب الإلحاد زخماً شعبوياً من خلال مفاهيم (التقدم):

١– أنّ فكرة التقدم ليست مجرد فلسفة تنظيرية، بل هي شعور موجود في الوعي الغربي حتى ولو لم توجد التنظيرات الفلسفية له، والذي أوجد هذا الشعور هو التطور الحاصل في وسائل العيش والحياة، لكن لا شك أن التنظيرات الفلسفية ساهمت بشكل مباشر في ترسيخ هذه القناعة في النفوس، وقد ظهر عدد من نظريات فلسفة التاريخ التي افترضت أن مسار التاريخ هو مسار تقدمي في اتجاه واحد بعيداً عن تأثير الأديان، وتندرج في هذا الإطار فلسفة "كوندورسيه" الذي قسم التاريخ إلى عشر مراحل، و"كونت" الذي قسم التاريخ إلى ثلاث مراحل، و"هيجل" الذي يرى أن التاريخ متحرك بمجموع إرادة الجنس البشري لنيل الحرية عبر حركة جدلية، و"ماركس" الذي اختتم هذه السلسلة من النظريات بالذهاب إلى القول بحتمية السيرورة التاريخية من خلال جدلية مادية مبنية على العلاقة بين المجتمع وعناصر نظامه الاقتصادي وتتجه هذه الحركة صوب فردوس أرضي مرتقب تختفي منه الطبقية وتسوده قيم اليوتوبيا الاشتراكية وغيرها من الأيدلوجيات المادية المعادية للأديان(٢)، مما هيأ الأذهان في الغرب لقبول الإلحاد أو علي الأقل

(١) فكرة التقدم: مرجع سابق، (ص٢٣).

٢ – راجع مزيداً من الأمثلة في كتاب فلسفة التاريخ عند فيكو: عطيات أبو السعود، ط دار هنداوي (القاهرة)

الابتعاد عن الأديان.

٢- أن نظرية التقدم هي التطبيق العملي لنظرية التطور في مجال التاريخ الإنساني – ومعلوم أن نظرية التطور أصل كبير من أصول الإلحاد المعاصر كما سيأتي بيانه-[١].

ومما سبق يتضح اعتماد الإلحاد (الجديد) علي نظرية (التقدم) كأساس ومحرك لدعايته بين مختلف الأوساط.

وقد تعرضت نظرية (التقدم) لوابل من النقد والنقض، واعتبرت من مخلفات القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ويمكن لنا تلخيص أهم الاعتراضات فيما يلي:

١- إن مفهوم التقدم ليس مفهوماً علمياً موضوعياً، يصور حرمة الواقع، وإنما هو مفهوم ذاتي نسبي يتحرك على أرض غير ثابتة، ومن ثم فقد اتخذ طابعاً أخلاقياً معيارياً، لا يمكن الثقاة فيه، ولا محاكمة التاريخ البشري إليه.

٢- لم يثبت علمياً التوصل إلي قوانين علمية مضطردة لتفسير التاريخ الإنساني، أو حتي شبه قوانين في هذا المجال، وبالتالي فأي محاولة لفرض بعض الآراء التي تثبت وجود التقدم التاريخي للبشرية، هي نوع من الإرهاب الفكري، دونما دليل واضح وسالم عن النقض.

٣- الاستقراء التام للتاريخ البشري المعروف يثبت أن البشرية لم تسر في خط مستقيم من التقدم والازدهار، وإنما تعرضت لنكسات عدة، ثم استفاقت وسارت في طريق التقدم مرة أخرى، بل إن الأمم التي تقدمت قديماً لم تواصل تقدمها – كما يدعي أصحاب فكرة التقدم-، وإنما انتكست وتركت المجال لغيرها، ثم في فترات تاريخية لاحقة استعادت دورها .. وهكذا[٢].

فلا يمكن التسليم بصحة نظرية التقدم إلا إذا قمنا بعملية انتقاء تاريخية، وفي هذه الحالة لا يمكن وصف هذا العمل بالنزاهة العلمية، ولا يمكن تعميم نتائجه[٣].

---

٢٠٢١م ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(١) راجع فكرة التقدم: مرجع سابق، (ص١١).

٢ – المفصل في فلسفة التاريخ – دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية -: هاشم يحيي الملاح، ط دار الكتب العلمية (بيروت)، ص ٢٥٨ – ٢٥٩ – ٢٦٠

٣ – التاريخ: إعداد محمد الهلالي – عزيز لزرق، ط دار توبقال للنشر (الدار البيضاء – المغرب) أولي، ٢٠١٤م

ومما سبق ندرك ضعف فكرة (التقدم)، وبالتالي ضعف ما تأسس عليها من وجوب انتقال البشرية عن الدين إلي الإلحاد، ولا يخفي فساد التصور الإلحادي عن الدين، الذي جعل الانتقال عن الدين ضرورة في نظر الملاحدة، ومن هنا نؤكد علي ضحالة الفكرة الإلحادية وضعفها.

، ص ٣٢ والنص عن بول ريكور .

## المطلب الثالث

## مشكلة الشر

وتعتبر هذه القضية من أهم القضايا التي تغذي الفكر الإلحادي وتشجع عليه، وهي سبب كامن في نفوس كثير من الملاحدة، فنجد أن أشهر ملحد في القرن العشرين "انتوني فلو" يشير إلى أن هذه المسألة كانت أحد أسباب إلحاده(١).

كما أن شبهة الشر هي الإشكال الأساسي الذي يبرز في النقاشات بين المؤلهين ومخالفيهم، فالملحد البريطاني "ستيفن لاو" عندما ناظر "ويليام لين كريغ" في وجود الله تعالى؛ اكتفى تقريبا باستعراض هذه الشبهة لإنكار وجود الله، وهذا نفس الذي فعله الأمريكي "مايكل تولي" في مناظرته لكريغ مصرحا بأن الحجة المركزية للإلحاد هي حجة الشر، ووصف الشاعر الألماني الملحد "جورج بوخنر" هذه الشبهة بأنها صخرة الإلحاد، وقد نشر باري توني دراسة ببلوغرافية عن المؤلفات الفلسفية والدينية التي نشرت عن مشكلة الشر بين عامي ١٩٦٠-١٩٩٠م، فبلغ عددها ٤٢٠٠ دراسة(٢).

وإعتبر الملاحدة أن مشكلة الشر هي الدليل الأكثر شعبية ضمن أدلتهم، والأكثر رواجاً أيضاً، فكل إنسان علي ظهر الأرض لا تخلو حياته من منغصات، هذه المنغصات هي شر بالنسبة له، فإذا ازدادت وتيرتها ازداد توتره هو أيضاً، وصار بين مطرقة الشر وسندان الإيمان، كيف يوفق بين الشر الذي يعيشه والحياة السعيدة التي يوعده بها الدين؟ هذا التوتر يمكن توظيفه في تدعيم الإلحاد وإبقاء الإنسان ملحداً، "فأول هذه الحجج – يعني الحجج علي عقلانية الإلحاد – وأقدمها وأبسطها هو وجود الشر ... هل هذه حجة إيجابية؟ بالتأكيد؛ بمعني أن الشر هو واقع لا يكتفي بإظهار الضعف الكامن في الأديان، وإنما يمنح حجة متينة لكي يصبح المرء ملحداً"(٣).

---

(١) هناك إله، كيف غيّر أشهر ملحد رأيه: انتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، الكويت، أولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. (ص٢٦)، وكذلك رحلة عقل: عمرو شريف، ط دار الشرو الدولية، (القاهرة)، رابعة، ٢٠١١م ، ص٤٨ .

(٢) مشكلة الشر ووجود الله، الرد على أبرز شبهات الملاحدة: سامي عامري، ط. مركز تكوين للدراسات والبحوث، ثانية ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م (ص١٨-٢٠).

٣ – تحقيق ما للإلحاد من مقولة: محمد المزوغي، ط. منشورات الجمل (بغداد – بيروت)، أولي ٢٠١٤م ، ص ٤٢٧.

ومشكلة الشر ليست اختراعاً إلحادياً بل هي قضية فلسفية عاناها كثير من المفكرين قديماً وحديثا، منذ العصور القديمة، "فوجود الشر في العالم مشكلة نظرية محيرة، وقامت عدة محاولات لتفسيره والبحث عن مبرر معقول لوجوده- يعي الشر-"[1].

ولكن مع ازدياد تقدم الإنسانية، وبعدها أكثر وأكثر عن الدين كثرت الشرور في العالم، وازدادت ضوضاء السؤال عن وجود الشر، وهل من المنطقي وجوده مع وجود إله رحيم؟ "فلما أقبل القرن العشرون بحربه وأسلحته أقبل بدعواه وحقوقه ولجاجته في المحاسبة والاعتراض، فإذا بمشكلة الشر تتفاقم فيه من جانبين؛ جانب ضخامة الشرور، وجانب اللجاجة والادعاء، وهذا هو الجديد علي المشكلة - يعني مشكلة الشر في القرن العشرين"[2]، وما تلاه بالضرورة.

ولكن لماذا اعتمد الملاحدة كثيراً علي مشكلة الشر واعتبروها ضمن الأدلة الأكثر رواجاً واقناعاً ؟ وأغلب الظن أنهم اعتمدوا علي مشكلة الشر لكونها تلامس الواقع، ويعايشها الإنسان باختلاف توجهاته واختلاف تكوينه الفكري ومدي ثقافته، وقدرته العقلية، فهي تلامس شعور الإنسان بالظلم والتعاسة والتفاهة حين يصيبه مكروه؛ هذا الشعور الذي عبر عنه القرآن بقوله ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[3]، حين يلامس هذا الشعور النفس الإنسانية مع بعدها عما يلطف هذا الشعور من الإيمان بالله - تعالي- وحكمته، وانعدام قيمة الصبر علي بلاء الله واختباره، يقود الإنسان إلي الشك في وجود الله - تعالي- بناءًا علي التصور الخاطئ بأن الله كليّ الرحمة وهو الراعي الصالح لخلقه، ويجب عليه جلب الصلاح لهم ودفع الأذي عنهم، "وتعتبر مشكلة الشر من أبرز المستندات التي يستند إليها الملحدون، والسبب في هذا هو سهولة فهم هذه القضية وقربها من عواطف الناس ومشاعرهم، وفي المقابل فإن جوابها - على قوته - إلا أنه ليس مما يمكن أن يطاله الفهم بتلقائية ووضوح، بل يحتاج إلى نوع من التأمل والنظر الذي لا يميل إليه المزاج العام[4]. ومن هنا تكون مشكلة الشر والترويج لها أساساً قوياً من أسس

---

١ - انظر: معضلة الشريين علم الكلام والفلسفة: محمد بو هلالة، مجلة مدارات فلسفية - مجلة علمية محكمة - تصدرها الجمعية الفلسفية المغربية - عدد ١٣ عام ٢٠٠٦م ، ص ٧.

٢ - انظر: عقائد المفكرين: عباس محمود العقاد، ط دار هنداوي (القاهرة)، ص ٥٦.

٣ - سورة المعارج: الآية ١٩

(٤) الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج: محمد ناصر، ط. مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، الطبعة الأولى،

الإلحاد ودعائمه.

فمشكلة الشر ناشئة عن توتر بين التصور الخاطئ للعقيدة الإيمانية – التي نبهنا علي خطئه – وبين الواقع الذي يعيشه الإنسان، "فمشكلة الشر تشكلت من التوتر الواضح بين الالتزام الإيماني التقليدي من جهة والإدراك الواعي لحالات المعاناة التي لا تحصى، وتبدو غير مبررة من جهة أخري"(١).

وأصل الإشكال: أن هناك معاني وأوصاف لا يمكن أن تجتمع مع وجود الشر في العالم، وهي وجود إله كامل العلم، كامل القدرة، كامل الرحمة، ومع ذلك يوجد الشر في العالم، وهذا يتنافى مع الأوصاف السابقة، لأنه لو لم يعلم بحصول الشر قبل وقوعه لكان جاهلا، ولو علم بأنه سيقع فلابد أن يمنعه، فلو لم يمنعه فمعنى ذلك أنه عاجز، ولو كان قادرا على منعه فلم يمنعه فهذا دليل على عدم رحمته بالخلق لأن الرحمة تقتضي منع الشر الذي يسبب الألم والمعاناة للناس، وحتى يخرج الملحد من هذه الإشكالية فإنه يلجأ إلى خيار الإقرار بوجود الشر (لأنه أمر محسوس) وإنكار وجود الله تعالى (لأنه غيب)(٢).

وهناك مجموعة من المحفزات تجعل من مشكلة الشر سلاحاً أكثر مضاء بيد الملاحدة أهمها:

١ – حالة الخواء الروحي، وانعدام القيم الأخلاقية التي تحفز علي الصبر والتعالي علي المصائب بالإيمان والتسليم بحكمة الشر الغائبة عن الإنسان، ويعلمها الله.

٢ – تضخم الذت والغرور الذي يدفع الإنسان إلي اعتقاد قدرته علي فهم كل شيء، والوصول إلي لب كل شيء ومغذاه وحقيقته، ما جعل الإنسان يفقد الثقة في إيمانه إذا تعرض لمصيبة أو كارثة لا يفهم لها معني (٣).

من كل ما سبق يتبين لنا أن مشكلة الشر من أهم الأسس التي أقيم عليها بنيان الإلحاد

---

٢٠١٧م، (ص٧٥، ٧٨).

١ – مشكلة الشر: دانيال سبيك، ترجمة سارة السباعي، ط. المركز القومي للترجمة (القاهرة) أولي، ٢٠١٦ م، ص ١٥.

(٢) مشكلة الشر ووجود الله: مرجع سابق، (ص٢١–٢٢)

(٣) راجع تفصيل هذه العوامل في المرجع السابق: (ص ٢١: ٢٧).

(الجديد).

ولا يخفي فساد الاستدلال علي عدم وجود الإله بوجود الشر، فجوهر مشكلة الشر – فيما أعتقد – غياب التفسير الصحيح لوجود الشر في ظل وجود إله كامل العلم وكامل القدرة وتام الرحمة؛ ومعلوم بداهة أن عدم فهم الشيء لا يعني أنه غير موجود، بل قصاري ما يدل عليه عجز المتصدي للفهم عن إدراك الحقيقة، وبالتالي فتأسيس الإلحاد (الجديد) علي مشكلة الشر استدلال بدليل في غير محلة، وتدليس علي العوام.

# المبحث الثاني

## توظيف العلوم التجريبية في تدعيم بنية الإلحاد الجديد

برع الملاحدة في توظيف نتائج العلوم التجريبية في تدعيم بنيانهم الفكري، وشكوكهم وشبهاتهم حول الدين، وتركز اهتمامهم حول معارضة النصوص والإخبارات الدينية مع كشوف العلوم المختلفة (التشريحية – الفيزيائية – الجغرافية والجيولوجية وغيرها من أنواع العلوم)، ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد؛ وإنما روج الملاحدة لكثير من النظريات التي تفسر الكون والحياة حتي وإن لم تثبت صحتها، وذلك لتتكامل البيئة الخصبة الملهمة للإلحاد، التي يريد الملاحدة نشرها والمحافظة عليها.

والحق أن الإلحاد ليس أصيلاً في هذا المجال، بل إن العلم التجريبي الذي نشأ وازدهر في الغرب قام علي أسس مادية معاندة للكنيسة وعقائدها وترجيحاتها العلمية، وتكونت عقيدة راسخة عند الغربيين والمتأثرين بهم أن العلم الحديث لديه الإمكانية لتفسير كل شيء تفسيراً مادياً، وتحليله عبر أدوات ومفاهيم المنهج التجريبي، ولكن مع ازدياد الوعي العلمي تبين خطأ هذا الأوهام، "إن أكبر هذه الأوهام العلمية علي الاطلاق هو الاعتقاد بأن العلم يملك كل الأجوبة، وأنه قد تمكن من الإجابة عن كل المسائل الجوهرية ..... إن العلم المعاصر يقوم علي الادعاء بأن جميع الحقائق إما مادية أو فيزيائية؛ فلا توجد حقيقة سوى الواقع المادي .....، وهذه المعتقدات لا تأتي من كون العلماء قد فكروا بها، بل لأنهم لم ينتقدوها أساساً ....، إن المنظومة العقائدية التي تحكم التفكير العلمي التقليدي مبنية علي أيدولوجيات تعود للقرن التاسع عشر "[١].

هذا التوظيف المشين لنتائج العلوم ونظرياتها، أدي لخلل في التفسير الغربي للظواهر والقراءة الخاطئة المغرضة لتاريخ البشرية، وتحولت الخصومة مع الكنيسة ومفاهيمها إلي معركة مع كل الأديان، وقد أدت هذه الدراما إلي فصل العلم عن الدين واختراع الخصومة بينهما، ما شكل موئلاً للملاحدة؛ فوظفوا كل ما يكتشفه العلم في الابتعاد بالبشرية عن ربها وخالقها،

١ – إطلاق سراح العلم – كيف نحرر العلوم التجريبية من القيود –: روبيرت شيلدريك، ترجمة ناديا عطار – أحمد يوسف، ط دار دون للنشر والتوزيع (القاهرة)، ص ١١– ١٢.

وتفسير كل الظواهر تفسيراً مادياً ينفي البعد الغيبي في الظواهر، وهو ما شكل – كما قررنا من قبل – بيئة خصبة لنشر الثقافة الملحدة مبطنة أو سافرة، ونشأ عن ذلك بروز اتجاه يقدس العلم، ويدعي له العصمة المطلقة وعرف باسم (العلموية)، وسيتضح أبعاد توظيف الإلحاد (الجديد) لهذا المفهوم والاتجاه.

ومن النظريات العلمية التي روج لها الملاحدة، واعتبرت حجر الزاوية في بنية الإلحاد المعاصر: (نظرية التطور) باعتبارها تقدم طرحاً بديلاً لنظريات الخلق المباشر من قبل الله للكون والإنسان، وتحاول نفي البعد الغيبي في وجود الكون ونشأته، وسيتضح فيما يلي الأهمية التي يوليها الملاحدة لتنمية الاتجاه (العلموي)، والحفاظ علي سيطرة مفاهيم التطور وتوجيهها دفة البحث العلمي في الغرب والشرق علي حد سواء، وقد اتبع الملاحدة خطة في توظيف العلوم التجريبية لتدعيم بنيانهم الفكري، يمكننا ملاحظتها وتلخيصها فيما يلي:

المطلب الأول: تدعيم النزعة العلموية.

المطلب الثاني: تدعيم النظيرات المعادية للدين (نظرية التطور نموذجاً)

## المطلب الأول

## تدعيم النزعة العلموية

كما سبق وألمحنا إلي أن تقدم العلوم في الغرب صاحبته حركة عداء كبيرة ومتعمقة الجذور مع الإيمان الكنسي، وقد تركت مآسي محاكم التفتيش وفظائعها أثراً غائراً في النفس الأوروبية أورثتها عداءا متأصلاً لكل ما هو سلطوي، خاصة ما اعتمد علي سلطان ديني[١]، وكان لاضطهاد العلم والعلماء من قبل الكنيسة أثر بالغ في النفور من الدين والارتماء في أحضان العلماء التجريبين، فصاروا هم الموجهين لحركة المجتمع واتجاهاته واهماماته[٢]، "فلم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى برز العلم من ثنايا الفكر الإنساني بمستكشفات راح ذوو العلم يبالغون في قيمتها مبالغة جرتهم إلى القول بأن مغاليق الوجود قد فتحت أمام العقل من طريق العلم، وأن الإنسان لا محالة دالف بقدمه يوما إلى حدود المعرفة المطلقة التي استغلقت عليه القرون الطوال، وأنه سوف يصل إلى حل رموز الكون وأسرار الوجود في أقرب حين. ساد إذ ذاك الاعتقاد بأنه ليس أمام الإنسان من طريق يوصله إلى ذلك سوى الركون إلى الطريقة العلمية ... ولقد ظلت هذه الفكرة ذات أثر بيّن في كل ما أخرج الفكر خلال القرن التاسع عشر من منتجات، ولا تزال ذات أثر كبير في عقول بعض الباحثين في هذا العصر، إذ طالما يسمع طلاب الفلسفة ودارسوا الدين بأن طريقهم التي يعكفون عليها في تفسير حقائق الحياة طريقة غير علمية، وأنه ليس لشيء في العالم من حق في الوصول إلى ذلك المدى القصير من المعرفة سوى العلم"[٣].

ومع ازدياد الكشوف العلمية والزيادة المضطردة في رفاهية الإنسان بفضل هذه المكتشفات العلمية؛ تطور الإيمان بالعلم إلى نشوء النزعة العلموية **scientism**، ويشير هذا المصطلح إلى

---

١ – انظر نشأة هذه المحاكم وطرقها الوحشية في التعذيب في كتاب محاكم التفتيش: رمسيس عوض، ط. دار الهلال (القاهرة) ٢٠٠١م – وكذلك انظر: التاريخ الموجز لمحاكم التفتيش بإسبانيا: جوزيف بيريز، ترجمة: مصطفي أمادي، مراجعة زينب بناية، ط. دار كلمة (أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة) أولى، ٢٠١٢م.

٢ – انظر أهم أحداث هذا الاضطهاد في كتاب محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها: علي مظهر، ط المكتبة العلمية (بون بيانات)، ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء: إسماعيل مظهر، ط مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. (ص١٠٢).

استخدام العلم كأيديولوجيا تعتبر أن المعرفة العلمية المعتمدة على العلم التجريبي هي المعرفة الوحيدة المهمة والتي لها السيطرة والهيمنة على مجالات الفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى، التي لا يمكن أن تنطبق عليها منهجية العلم التجريبي، فالعلموية بتعريف آخر هي وجهة النظر التي ترى بأن الطرق الاستقرائية المميزة للعلوم الطبيعية هي المصدر الوحيد للمعرفة الواقعية الحقيقية(١).

وقد تميز الإيمان بالعلم (العلموية) في الغرب بالتطرف الشديد ويتبدى هذا التطرف في عدة مظاهر:

١- تقديس العلم أو بمعني أصح تأليهه، واعتباره ديناً يتعبد به(٢).

٢- اعتبار العلم منطق تفكير ومنهجية استدلال كامنة لدى الباحث(٣).

٣- صار للعلم ومنهجه التجريبي دور اجتماعي طالما قام به الدين قبل هذه العصور، "على أن الإفراط في الثقة بنتائج العلم لا يقتصر على الفيلسوف وإنما أصبح سمة عامة للعصر الحديث، أي للفترة التي تبدأ من جاليليو إلى وقتنا الحالي، وهي الفترة التي خلق فيها العلم الحديث، فالاعتقاد بأن لدى العلم الإجابة على كل سؤال قد بلغ من الانتشار حدا جعل العلم يضطلع بوظيفة اجتماعية كانت في الأصل من مهام الدين، وأعني بها وظيفة كفالة الطمأنينة القصوى، ففي حالات كثيرة حل الإيمان بالعلم محل الإيمان بالله"(٤).

٤- التصريح علانية بانتهاء دور الدين، يقول كونت: "إن الاعتقاد في ذوات عاقلة أو إرادات عليا لم يكن إلا تصورا نخفي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية، أما الآن وكل المتعلمين من أبناء

(١) ليطمئن عقلي: أحمد خيري العمري، مرجع سابق، (ص٢٠١)

٢( The Religion of Scientism, Don Watson

https://hilgart.org/enformy/Religion_of_Scientism.htm

(٣) لماذا نحن هنا، تساؤلات الشباب حول الوجود والشر والعلم والتطور: إسماعيل عرفة، ط مركز دلائل-(الرياض) أولى، ١٤٣٨هـ (ص١٨٤)

(٤) نشأة الفلسفة العلمية: هانز ريشنباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ط: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية-مصر)، (ص٥٤).

المدنية الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لا بد من أن تعود إلى سبب طبيعي، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلا علميا مبناه العلم الطبيعي، فلم يبق ثمة من فراغ يسده الاعتقاد في وجود الله، ولم يبق من سبب يسوقنا إلى الإيمان به"[١].

يقول عباس العقاد: "في مفتتح القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت سؤالا إلى علامة الفلك في زمانه "لابلاس" عن عمل القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية ... فقال علامة الفلك مجيبا سائله الكبير الذي كان يقول في الدين بمثل قوله: إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إله.

ومضى القرن التاسع عشر إلى نهايته والرأي الغالب فيه بين المشتغلين بالعلم والمؤمنين به هذا الرأي الذي تحدث به لابلاس إلى نابليون: إن العلم كاف كل الكفاية لتفسير جميع الأسرار.

كتب "السير جيمس فتز" في سنة ١٨٨٤م فصلا يعتبر يومئذ مثالا للآراء العلمية في تلك الفترة فقال: "إذا كانت الحياة الإنسانية في نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست أرى بعد ذلك مادة باقية للدين، إذ ما هي فائدته وما هي الحاجة إليه؟ إننا نستطيع أن نسلك سبيلنا بغيره"[٢].

ويقول رونالد سترومبرج: "وقد ورد في مقال نشرته مجلة إنجليزية علمية عام ١٨٨٤م قولها: "لقد أصبح رجال العلم أنبياء العقول التقدمية" ... وقد نجم انتشار الثقة بالعلم عن اعتقاد الناس بأن العلم هو الذي يكشف الغطاء عن الصورة الصحيحة للحقيقة، إذ إنه يرتكز إلى قواعد ثابتة تجعله بمنأى عن الخطأ، وأن وسائل المعرفة الأخرى كالميتافيزيقيا والدين أمست وسائل بالية لا خير فيها ولا نفع"[٣].

ومن نتائج هذه الفكرة حصول القطيعة التامة مع الفلسفة وشن حرب شرسة ضدها، والتبشير بزوالها، يقول دوكينز: "أضف أن الفلسفة ومواضيع الدراسة المعروفة باسم الإنسانيات ما زالت

(١) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء: مرجع سابق، (ص٦٧-٦٨).
(٢) عقائد المفكرين في القرن العشرين: مرجع سابق (ص٢٣).
(٣) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث: رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، ط دار القارئ العربي، ثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. (ص٥٠٩).

تُدرَّس وكأن داروين لم يولد قط، لا شك في أن هذا الواقع سيتغير بمرور الوقت"[١].

وبالتالي صار الحكم علي أي شيء نابع من كونه موافق للمفاهيم العلمية (التجريبية خصوصاً) أم لا، فما كان موافقاً للمنهج العلمي (التجربي) وخاضع للمنهج التجريبي اكتسب مشروعية ومصداقية، ومالم يكن كذلك فليست له نفس المشروعية، "إن التفسير اللاهوتي للأحداث والوقائع لا يمكن إثباته بالوسائل العلمية، فهو باطل لا حقيقة له، ويترتب على هذا القول بأن: الدين تفسير زائف لوقائع حقيقية"[٢].

وقد استند الملاحدة (الجدد) علي هذه الظاهرة العامة في المجتمعات والأوساط العلمية الغربية وقرروا بكل صلافة: أنه كلما تقدم العلم التجريبي خطوة للإمام انزوي الدين إزائها خطوات، ذلك أنهم يعتقدون – كما سبق بيانه – أن اكتساب المشروعية مرهون بموافقة المنهج العلمي التجريبي.

ويتضح مما سبق كيف استغل الملاحدة هذا المزاج العام المقدِّس للعلم التجريبي في تدعيم بنية الإلحاد (الجديد)، والإفادة من هذه العقائد الراسخة في طرح البديل الإلحادي للدين، وتوفير عقيدة جديدة ذات طابع عملي تتوافق مع المزاج السائد المقدس للعلم، بديلاً عن الدين الذي اعتبروه عقيدة عاطفية مناقضة للعقل والبرهان العلمي.

وقد اتبع الملاحدة خطة محكمة في تأكيد هذه العقيدة الغربية الراسخة حول العلم، وتدعيم بنية الإلحاد، وتبرير قضاياه للمجتمع الغربي وغيره، ويمكن أن تصاغ هذه الخطة فيما يلي:

١- يؤكد الملاحدة (الجدد) أن الإلحاد اعتقاد علمي بخلاف الإيمان الذي اعتبروه اعتقاداً عاطفياً، فيقول دوكينز[٣]: "وكيفما شئت تعرف الإلحاد ولكنه دون شك هو نوع من الاعتقاد

---

(١) الجينة الأنانية: ريتشارد دوكينز، ترجمة: تانيا ناجيا، ط دار الساقي– لبنان بالاشتراك مع مركز البابطين للترجمة– الكويت، أولى ٢٠٠٩م. (ص٩–١٠).

(٢) الإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، مدخل علمي إلى الإيمان، تعريب: ظفر الإسلام خان، ط. مكتبة الرسالة بدون تاريخ، (ص١١)

٣ – ريتشارد دوكينز: عالم أحياء أمريكي وأحد أشهر المدافعين عن الإلحاد والمنظرين له في العصر الحديث، تمتعت كتاباته بزخم كبير في أنحاء العالم، ومثل إلهاما كبيرا لكثير ممن ينظرون للإلحاد ويدافعون عنه. انظر تحليل واسع لشخصيته وأعماله وأفكاره في كتاب: ريتشارد دوكينزعالم غير أفكارنا: تحرير: آلان جرافن – مارك

الأكاديمي"[١].

٢- يجعلون الإيمان مرادفاً للعجز والعي الفكري واللامنطقية في التفكير والاستدلال، يعرف دوكينز الإيمان فيقول: "الثقة العمياء رغم غياب الدليل، بل بالضد من الأدلة التي تثبت العكس"[٢].

٣- يروج الملاحدة (الجدد) أن العلم يستطيع الإجابة على أي سؤال، حتى ولو لم تكن الإجابة موجودة الآن لكنها ستظهر في المستقبل، فنجد - مثلا- دوكينز عندما تحدث عن التفسير البيولوجي لنشأة الحياة من خلال نظرية داروين أشار إلى أنه لم يصحبه تفسير فيزيائي لنشأة الكون، ولكن في طريقه للاكتشاف، فيقول: "من الممكن أن تكون هناك نظريات أخرى تنتظر الاكتشاف، وربما أن التضخم الذي ينادي به الفيزيائيون والذي حصل في جزء من أول ياكوثانية في وجود الكون ستصبح حين فهمها بشكل أفضل الرافعة التي تقف جنبا إلى جنب مع رافعة داروين البيولوجية، أو ربما الرافعة الغامضة التي يبحث عنها الفلكيون ستكون نوعا منسوخا من فكرة الداروينية نفسها"[٣].

٤- الانفصال عن التراث الفلسفي الوضعي، واعتماد أدلة تخليقية تجمع بين الصياغات العلمية والمحتوي الفلسفي، مع الاستشهاد بالمكتشفات العلمية الحديثة، وقد سببت هذه الخطوة صعوبة بالغة في الرد علي الملحدين (الجدد)، خاصة ممن لا يجيد مثل هذه الأساليب ويتبع الطرق القديمة في الرد والمناظرة، "والحقيقة أن انفصال الإلحاد الجديد عن التراث الفلسفي الوضعي يعد ظاهرة واضحة جدا في موجة الإلحاد الجديدة التي انتشرت في البلدان العربية عقب ٢٠١١م، وهو ما سبب إرباكا في طرق الرد على الملحدين، لأن أغلب الردود السابقة كانت تستند على التفاعل مع نقاش فلسفي غالبا، وهو أمر نُحِّيَ جانبا في الإلحاد الجديد إلى حد كبير، مما جعل

---

ريدلي، ترجمة: زينب حسن البشاري مراجعة: هبة نجيب مغربي، ط. دار كلمة (أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة) أولي، ٢٠٠٨م.

(١) من محاضرة له بعنوان: الإلحاد المقاتل Militant atheism :
https://www.youtube.com/watch?v=VxGMqKCcN٦A

(٢) ليطمئن عقلي: مرجع سابق (ص٢٠٢).

(٣) وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م. (ص٧٥).

تراث الردود على الإلحاد أقل قدرة على الرد"(١).

٥- الإكثار من تكرار مقولة إن العلم يرتبط بالإلحاد، وأنه كلما ارتقى مستوى الإنسان العلمي قلَّ عنده التدين، وأن أكثر العلماء المشهورين ملاحدة، وقد استمات دوكينز في (وهم الإله) في إثبات أن اينشتاين كان ملحدا، وكذلك كرر هذا الأمر في عدد من لقاءاته(٢).

ومع هذه المكانة الممتازة والتأثير الفعال لمثل هذه الاستراتيجيات الخبيثة، إلا أن الله – تعالي- لا يترك الحق دون ناصر، فالله – تعالي- ينصر الحق بجنود من عنده، ويمكن لنا رصد أهم المؤشرات علي تقلص هذا السلطان الطاغي للعلم – وبالتالي تقلص اعتماد الملاحدة (الجدد) علي (العلموية) باعتبارها ممهد للإلحاد، وحرمانهم من الاعتماد على هذا الأساس المهم لبنيانهم الفكري – فيما يلي:

١- ظهر تيار قوي ينقد (العلموية) ويحاول جاهداً تحرير المجتمعات الغربية والإنسانية جميعاً من غلواء هذه (العلموية)، وبرزت مخاوف من سيطرة العلماء التجريبيين علي الساحة الفكرية في الغرب والشرق، "المخاوف الغربية حول العلم منذ العشرينيات من ١٩٢٠م ومنذ عام ١٩٧٠م على نحو أكثر تخصيصا، قد زادت زيادة ضخمة، ورأت آخر ٣٠ سنة من داخل الغرب سلسلة من الهجمات على العلم عنيفة ومتنوعة على نحو مذهل، وتأتي الهجمات من اليسار واليمين، ومن المفكرين ومن المناوئين للمفكرين، ومن وسائل الإعلام والمحتجين الغاضبين، ومن الأصوليين المسيحيين ومعلمي العصر الجديد، ويظهر أن الغربيين قد فقدوا إيمانهم بالتدبر العقلي وبالعلم"(٣).

ويقول رونالد سترومبرج: "الثقة بالعلم بدأت بالتداعي في منعطف القرن، إذ أخذ العلم بمواجهة مفارقات عاصفة على حدود الميتافيزيقيا". وضرب عددا من الأمثلة على النظريات التي تم دحضها وإثبات خطئها مع أنها كانت من المسلمات، ثم قال: "وقد نجم عن تدمير تلك الصورة

(١) ليطمئن عقلي: مرجع سابق، (ص٢٠٥)

(٢) على سبيل المثال: محاضرة له بعنوان: الإلحاد المقاتل Militant atheism :
https://www.youtube.com/watch?v=VxGMqKCcN٦A

(٣) انتحار الغرب: ريتشارد كوك، كريس سميث، ترجمة محمد محمود التوبة، ط مكتبة العبيكان– هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م (ص١١٧-١١٨).

شيء من التواضع، وانتعشت الميتافيزيقيا وازداد الاهتمام باللا معقول، ولم يعد العلم بسيطا، ولربما لم يعد يستند على المادية والميكانيكا، وقد كشف النقاب عن كون غامض مقدّر لجزء منه أن يبقى غامضا.. وهكذا أصبح العلماء أكثر تواضعا، وأخذوا يتحدثون عن الكون الغامض بدلا من حديثهم عن التقدم نحو المعرفة الكاملة"(١).

وقد نقل محمد فريد وجدي العديد من المقولات التي تصرح بقصور العلم وعدم قدرته على تفسير كل شيء، وأن المجهول لا زال أكثر من المعلوم، وممن نقل عنهم: شارل ريشيه، المدرس بجامعة الطب الفرنسية، وجوستاف لوبون، والرياضي الفرنسي هنري بوانكاريه، وعالم النفس الأمريكي وليم جيمس، والإنجليزي وليم كروكس، وأوليفر لودج، والفلكي الفرنسي كاميل فلامريون، وهربرت سبنسر، وأندريه كريسون(٢).

ويقول البيولوجي ماسيمو بليوتشي: "على النقيض مما يزعم كثير من محاربي الفكر، العلم مشروع متواضع أكثر بكثير من أي دين أو أيديولوجيا أخرى"(٣).

كما ألمح عالم الوراثة ريتشارد ليونتن في ملحق صحيفة نيويورك تايمز الخاص بمراجعة الكتب: "إننا نأخذ بالعلم بالرغم من السخافة الصريحة لبعض تراكيبه.. بالرغم من فشله في الوفاء بكثير من وعوده المتعلقة بالصحة والحياة، وبالرغم من تسامح المجتمع العلمي مع قصص مجردة لا أساس لها من الصحة"(٤).

ولعل من أوسع الكتابات المؤكدة لقصور العلم والمشككة في أصوله وقواعده كتاب (تحرير العلم) لروبرت شلدريك، وقد نشر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية في المملكة المتحدة تحت عنوان "وهم العلم" (The Science Delusion)، ويقول كاتبه الدكتور روبرت شيلدريك ( Rupert Sheldrake): إن الناشر اختار هذا العنوان لتحقيق مبيعات أكثر، حيث إن العنوان يوحي بأنه رد على كتاب ريتشارد دوكنز "وهم الإله" (The God Delusion)، ونشر في الولايات المتحدة

---

(١) تاريخ الفكر الأوروبي الحديث: مرجع سابق (ص٥٠٩-٥١٥).
(٢) على أطلال المذهب المادي: مرجع سابق (١/١٣٠-١٤٠).
(٣) وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية: ديفيد بيرلنسكي، ترجمة: عبدالله الشهري، ط. مركز دلائل، أولى، ١٤٣٧هـ (ص٣٣).
(٤)بوهم الشيطان: مرجع سابق، (ص٣٦).

تحت عنوان "تحرير العلم: عشرة طرق لاكتشافات جديدة"، ويتحدث الكتاب عن تحول العلم إلى دين العصر الحديث، وكيف أن العلم بُنِي في الأساس على مجموعة من الافتراضات التي تحولت مع مرور الزمن ونجاح العلم في تحقيق إنجازات تكنولوجية إلى عقائد إيمانية لا يجوز الطعن في صحتها، على الرغم من عدم وجود أي دليل على صحتها في الأساس.

في هذا الكتاب يناقش روبرت شيلدريك عشرة افتراضات بني عليها العلم الحديث، ويوضح أن هذه الافتراضات لا دليل عليها مطلقاً، ولا تعدو كونها مجرد افتراضات، ويناقش المفاهيم الأساسية لفلسفة العلوم وتطور هذه الفلسفة من طريقة للبحث والتجريب إلى معتقد "ديني" جديد، وكيف أن المؤسسات العلمية لا تختلف في جوهرها الآن عما كانت عليه الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى في أوروبا، حيث إنها تهاجم وتعاقب بشدة من يخالف "العقيدة" العلمية الأساسية التي لا دليل عليها، وكيف أن تلك المؤسسات العلمية نفسها في المقابل ترحب بالكثير من الافتراضات والنظريات التي لا دليل عليها أو لا وسيلة لإثباتها مطلقاً طالما أنها تتماشى مع الفلسفة التي بني عليها العلم وهي المادية (Materialism)، وهي باختصار أن لا شيء في الوجود مطلقاً غير المادة المحسوسة، والتي تطورت مع الزمن من طريقة لفصل الغيبيات والروحانيات عن البحث العلمي التجريبي إلى معتقد في حد ذاته ينكر بشدة وجود أي شيء غيبي أو روحاني[(١)].

٢- ظهر تيار قوي يفك العلاقة بين العلم أو (العلموية) والإلحاد، وقد دلل هذا التيار علي قوته وجماهيريته من خلال استطلاع أجراه مركز بيو عام ٢٠٠٩ لأعضاء الأكاديمية الأمريكية لتقدم العلوم مع هؤلاء العلماء عن حالة معتقداتهم الدينية (تاريخ المسح عام ٢٠٠٩ بعد نشر الكتب من قبل جميع "الفرسان الأربعة"). وجد الاستطلاع أن ٣٣٪ من العلماء ادعوا أنهم يؤمنون

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: تحرير العلم: كتاب للدكتور روبرت شلدريك --

تاريخ الزيارة ٨- ١١- http://worthy-of-reading.blogspot.com/٠٧/٢٠١٦/blog-post.html---

٢٠٢١م، وراجع الترجمة العربية للكتاب بعنوان - إطلاق سراح العلم - كيف نحرر العلوم التجريبية من القيود - : روبيرت شيلدريك، مرجع سابق.

بالله، و١٨٪ يؤمنون "بروح عالمية أو قوة أعلى(١).

وقد برزت تساؤلات مهمة جداً حول مشروعية الربط بين العلم والإلحاد وهل العلم بالفعل يوصل إلى الإلحاد؟ وهل يمكن أن يكون له علاقة بموضوع وجود الله تعالى نفيا أو إثباتا بحسب المنهج العلمي التجريبي نفسه؟ ويمكن لنا الإجابة عن هذه التساؤلات بالقول:

إن العلم الطبيعي محدود بالعالم المادي، فهو يتعامل فقط مع المادة ولا شيء غيرها، فعلى سبيل المثال لن تستطيع أن تُحدد القبيح من الحسن عن طريق العلم، ولا تفرق الخير عن الشر في ذاته، فهي معاني منفصلة تماماً عن المادة، وبالتالي نجد أنفسنا أمام مقدمتين مهمتين تؤديان إلى نتيجة مهمة جداً تشكل الأساس للجواب على التساؤلات السابقة:

المقدمة الأولى: العلم التجريبي محدود بالمادة.

المقدمة الثانية: الإلحاد إنكار لوجود ميتافيزيقي – ما وراء المادة.

النتيجة: لا يمكن للعلم أن يؤدي للإلحاد إذ لا علاقة بينهما، فالأول مجاله الوجود المادي والثاني وجود غير مادي(٢).

ومما سبق يتبين لنا فقدان الإلحاد (الجديد) للمشروعية في ربطه الإلحاد بالعلم، مما يقلل من مصداقيته في طرح قضاياه وأدلته.

(١) https://www.pewforum.org/٢٠٠٩/١١/٠٥/scientists-and-belief/ تاريخ الزيارة ٨- ١١- ٢٠٢١م الساعة العاشرة مساء

(٢) راجع هل العلم التجريبي يؤدي إلى الإلحاد؟ يونس نظيف https://cutt.ly/Egebgne تاريخ الزيارة ٩- ١١- ٢٠٢١م الساعة الحادية عشرة مساءا.

## المطلب الثاني

## توظيف النظريات العلمية في تدعيم الإلحاد

سبق بيان اعتماد الملاحدة علي النزعة (العلموية) التي سادت في المجتمعات الغربية بعد صراع طويل مع الكنيسة ومناصريها، وقد انصبّ اهتمام الملاحدة قديماً علي توظيف كل النظريات العلمية التي حاولت تفسير الكون بعيداً عن التدبير الإلهي، ولمزيد من التوضيح لهذه الفكرة المركزية في الإلحاد (الجديد) وغيره من التيارات المعادية للدين؛ نستعرض مجموعة من النظريات والكشوف العلمية وظفتها التيارات الإلحادية في تقليص نفوذ الدين في المجتمعات الغربية خصوصاً والمجتمعات العالمية عموماً، ويمكننا رصدها فيما يلي:

١- نظريات نيوتن: الذي قدم فكرة أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية، ثم جاء من بعده فوسعوا مجال هذه الفكرة فقالوا: كل ما يحدث في الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم هو (قانون الطبيعة)، ونشأت فكرة أن الإله هو المحرك الأول لهذا الكون بمثابة صانع الساعات الذي صنعها صنعا دقيقا وحركها ثم تركها تعمل دون أن يتدخل، فجاء هيوم بعد ذلك ليقول: لقد رأينا الساعات وهي تصنع في المصانع، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع، فكيف نسلم بأن لها صانعا؟ وجاء هكسلي ليقول: إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق طبيعية"، فالإنسان – مثلا- لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها، فزعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب، ثم عرف أن شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها، وبذلك انتهت ضرورة القول بهذه القوة[١].

ولا يخفي ما أدته هذه النظرية المكانيكية من خدمة للإلحاد – حتي وإن كان صاحبها من المؤلهين –، فقد كانت مقدمة ممتازة لنفي التدبير الإلهي المباشر، وارتباط الكون بقوانين بعيدة عن السيطرة الإلهية، ومن ثم فقد سهل عليهم إلغاء فكرة وجود الله تدريجياً.

٢- بحوث علم النفس: التي توصلت إلى نتائج أن الدين نتاج اللاشعور الإنساني وليس انكشافا

١ – انظر تفصيل هذه النظريات في كتاب نيوتن مقدمة قصيرة جدا: روب أيلف، ترجمة: شيماء طه الريدي، مراجعة: إيمان عبد الغني نجم، ط. دار هنداوي (القاهرة)، أولي، ٢٠١٤م.

لواقع خارجي، فليس الإله سوى انعكاس للشخصية الإنسانية على شاشة الكون، وما عقيدة الدنيا والآخرة إلا صورة مثالية للأماني الإنسانية، وما الوحي والإلهام إلا إظهار غير عادي لأساطير الأطفال المكبوتة.

والعقل الإنساني مركب من (الشعور واللاشعور) وهذا الثاني أكبر بكثير من الأول، ويقرر "فرويد" أن اللاشعور قد يقبل أفكارا في الطفولة تؤدي إلى أعمال غير عقلية، وهذا ما يحدث بالنسبة للعقائد الدينية، ففكرة الجنة والجحيم ترجع إلى الأماني التي تنشأ لدى الإنسان في طفولته ولكنه لم يتمكن من تحقيقها، فتبقى دفينة في اللاشعور[١].

٣- التاريخ: حيث يزعمون أن الدين وجد لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان، فقوى الطبيعة من حوله كالسيول والأعاصير والزلازل والأمراض لم يكن في استطاعته أن يفلت منها، فأوجد (قوى فرضية) يستغيثها لتنقذه من تصرفات الطبيعة، وهكذا ظهرت فكرة الإله الذي تفوق قوته قوة الإنسان ويسارع الجميع إلى رضاه، فالدين هو نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته[٢].

وهذه النظريات هي من أبرز النظريات العلمية التي كان لها أثر كبير في نشوء الإلحاد، حيث إنها بتفسيراتها التي قدمتها للطبيعة والإنسان والدين والأخلاق أوجدت بديلا علميا يمكن الاستغناء به عن التفسيرات الدينية على حد زعم الملاحدة، ولهذا لم تعد هناك حاجة للدين.

وينضاف إلى هذه النظريات ما نشأ من نظريات جديدة في القرن العشرين، وبالخصوص الفيزياء الكمية، وخلاصة ما تدعيه هذه النظرية أن عمليات الوجود والحركة والتأثير التي تحدث في بنية الطبيعة الأولية إنما تحدث فيها كذلك بشكل ذاتي دون وجود فاعل ومحرك ومؤثر، ودون وجود قواعد وقوانين تمنع من وجود شيء في مكانين، وكون شيء في الوقت نفسه شيئين متغايرين في الحقيقة، وكون شيء بحالين متناقضين، وهذا يعني أن الطبيعة في جوهرها

---

١ - انظر علي سبيل المثال كتاب مستقبل وهم: سيجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي، ط. دار الطليعة (بيروت)، رابعة، ١٩٩٨م، ص ٢٥ وما بعدها. وكذلك الدين والتحليل النفسي: إيريك فروم، ترجمة فؤاد كامل، ط دار غريب (القاهرة) بدون تاريخ، ص ١٥ وما بعدها.

(٢) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، (ص١٢-١٦).

لا تخضع لمقتضى تلك القواعد والقوانين[1].

وبناء على ذلك يرى الملحدون أنه لا يمكن الانطلاق من الطبيعة لاستنتاج أن لها إلها وصانعا ومدبرا، بل زادوا على ذلك واعتبروا أن هذه القوانين نفسها لا تصلح لأصل إثبات وجود الإله، حتى لو لم تكن الطبيعة منطلق عملية الإثبات، لأنها لم تعد قوانين ثابتة وإنما مجرد اصطلاحات نصف بها ما نشاهده في العالم المحيط[2].

وهذا التفكير فيه إشكالية كبيرة، لأنه يفترض أن وجود السبب الأدنى (الطبيعي) ينفي وجود السبب الأعلى (الإلهي)، وهذا قصور شديد في النظر والتفكير، فإن الشيء الواحد تعمل فيه عدة أسباب، وهذه الأسباب تتفاوت في أنواعها ودرجاتها ومستوياتها، وإثبات سبب أو نفيه لا يلزم منه نفي بقية الأسباب أو إثباتها..

والدين في الغالب عندما يحدثنا عن أسباب بعض الظواهر أو الوقائع فإنه لا ينفي وجود أسباب أخرى، لكنه يحدثنا عن السبب الأساسي الذي لا نراه ولا نستطيع معرفته إلا من خلال الوحي، ولو أن الدين نفى الأسباب الطبيعية لكان محل انتقاد، لكن هذا غير حاصل خاصة بالنسبة للإسلام[3].

والحقيقة أن فكرة نفي الحاجة إلى التدبير الإلهي لم تكن موجودة قبل ٢٠٠ عام، بل كان هناك لجوء واضح إلى القول بالتدبير الإلهي في تسيير شئون الطبيعة، إلا أن بداية فكرة الاستغناء كانت من منحى سلكه بعض علماء القرنين السابع والثامن عشر، حيث كانوا يقومون بتفسير الظواهر الطبيعية بالتفسير المادي البحت، فإذا عجزوا عن إيجاد تفسير مادي طبيعي فإنهم يلجأون إلى القول بالتدبير الإلهي، فظهر ما عرف بعد ذلك بفكرة (إله الفجوات)، ومع تطور العلوم وازدياد القدرة على التفسير صارت هذه الفجوات تتقلص شيئا فشيئا، حتى بدأ التساؤل

---

١ – انظر: مزيدا من التفصيل وآثار نظرية الكم علي الدين في كتاب الله والفيزياء الحديثة: بول دافيز، ترجمة هالة العوري، ط دار صفحات للنشر والتوزيع (دمشق)، أولي ٢٠١٣م، ص١٢٣ وما بعدها. وللمزيد: راجع: مبادئ ميكانيكا الكم: بول ديراك، ترجمة محمد أحمد، ط دار كلمة (أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة)، أولي ٢٠١٠م.

(٢) الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج: محمد ناصر، ط مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، أولى ٢٠١٧م. (ص٨٨)

(٣) الإسلام يتحدى: مرجع سابق، (ص١٩-٢٠)

عن مدى صحة وعلمية هذه الممارسة، فإذا كان العلم قادرا على ملء هذه الفجوات فلا حاجة إذا إلى غيره، وليكن التفسير كله علميا ماديا مع الاعتراف بالغموض والحاجة إلى البحث والعمل الإضافي مستقبلا، فتم التوقف عن ربط الأحداث بالتدبير الإلهي وتم الاستغناء بالمنهج العلمي التجريبي(١).

ولعلنا لا نخطئ إذا قررنا أن هناك بعض النظريات العلمية مثلت العمود الفقري للإلحاد (الجديد) ، والمثال الأبرز علي ذلك (نظرية التطور)، ويمكن لنا بيان أبعاد هذه النظرية، ومدي اعتماد الإلحاد (الجديد) عليها فيما يلي:

أ- تدعي نظرية التطور أن أصل كل الكائنات الحية التي تعيش في الأرض كان من خلية حية واحدة قبل قرابة ٤ مليارات سنة، واستمرت هذه الخلية بالانقسام والتكاثر والتخصص لتتحول من كائن أحادي الخلية إلى كائنات أكثر تعقيدا متعددة الخلايا، وعبر مئات الملايين من السنين تطورت هذه الكائنات لتنتج ملايين الأنواع المختلفة من الكائنات الحية مختلفة الصفات والمظاهر، وساهمت الطفرات الجينية بظهور صفات جديدة إيجابية أو سلبية، فجاءت عملية الانتقاء أو الانتخاب الطبيعي بتفضيل الصفات الإيجابية وتصفية السلبية، حيث إن الكائن الذي يحصل على صفات إيجابية عبر الطفرة يكون أقدر على النجاة من الافتراس فيستمر في التكاثر، بينما ينقرض الكائن الذي لم يحصل على هذه الصفة أو حصل على صفات سلبية لم تساعده على النجاة من الافتراس(٢).

فالداروينية "هي فلسفة علمانية شاملة واحدية عقلانية مادية كمونية، تنكر أي مرجعية غير مادية، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية، وترد العالم بأسره إلى مبدأ مادي واحد كامن في المادة وتدور في نطاق الصورة المجازية العضوية والآلية للكون، والآلية الكبرى للحركة هي الصراع والتقدم اللانهائي ... ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء

---

(١) الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج: مرجع سابق، (ص٨٤-٨٥)

(٢) ليطمئن عقلي: مرجع سابق . (ص١٧٣-١٧٤) – وراجع ملخص نظرية التطور في كتاب التطور مقدمة قصيرة جداً: برايان تشارلزوورث – ديبورا تشارلزوورث، ترجمة محمد فتحي خضر، مراجعة: هبة غانم، ط دار هنداوي ( القاهرة) أولي ٢٠١٦م، ص١٦ – ١٧ .

معظم الفلسفات العلمانية الشاملة إن لم يكن كلها"(١).

وخلاصة نظرية التطور أن الحياة ليست إلا صراعا لأجل البقاء، وهدف كل الكائنات الحية هو أن تنتج كائنات مشابهة لها، ويجب أن تحافظ على أمرين: أن تجد عشاءها، وألا تكون عشاء للآخرين، ووظيفة الطفرات الجينية هي وضع الصفات التي تحقق للكائن التكاثر بشكل أفضل، وكذلك أن لا تكون طعاما للآخرين(٢).

ب- وهذه النظرية ليست نظرية حديثة تماما، بل أصل فكرة تطور الإنسان والمجتمعات فكرة عرفت منذ مدة في الفلسفة وقد خرجت هذه الفكرة عن الإطار الفلسفي وأخذت الصبغة العلمية على يد تشارلز داروين وذلك في كتابه (أصل الأنواع)، يقول دافيد مارسيل: "لم يكن شارلز داروين هو مبتكر فكرة التطور، ذلك أنه قبل قرن من ظهور كتاب (أصل الأنواع) وعنوانه الكامل: (عن أصل الأنواع بوسائل الانتخاب الطبيعي أو بقاء السلالات الأفضل في الصراع من أجل الحياة) كانت قد ظهرت دراسات فرضت نفسها على العلماء، وتتعلق بعدم صلاحية بعض الكائنات والسلم الارتقائي لسلسلة الوجود الكبرى ... وبدأت تشيع رويدا رويدا فكرة إمكانية انحدار وتكاثر الأنواع بصورة تطورية، أو أنها على الأقل تباينت تباينا واضحا في عصور جيولوجية مختلفة، ونجد جورج لويس بفون، وجان بابتيست لامارك، وارازموس داروين (جد شارلز) وبارون جورج كوفيير وسير شارلز ليبل، أكدوا جميعا نظرة تطورية متميزة، وإن عجز كل منهم ولأسباب مختلفة عن الوصول إلى النتائج التي توصل إليها شارلز داروين"(٣).

ج- وبداية البحث في هذه النظرية لم يكن متعلقا لا من قريب ولا من بعيد بقضية وجود الخالق، وإنما كان بحثا علميا بيولوجيا بحتا، لكن مع النتائج التي توصل إليها هذا البحث بدأت تظهر بعض الإشكاليات التي تتعارض مع المقررات الدينية، وكان أبرزها قضيتان اثنتان:

الأولى: عمر الكون، حيث إن نظرية التطور تفترض أن التطور حصل عبر ملايين السنين، بينما

(١) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: مرجع سابق، (ص٩٧)

(٢) ليطمئن عقلي: مرجع سابق، (ص١٧٦).

(٣)فلسفة التقدم: دافيد مارسيل، ترجمة: خالد المنصوري،ط مكتبة الأنجلو المصرية(القاهرة)، (ص٦٧)، انظر المزيد حول تاريخ نظرية التطور كتاب نظرية التطور تاريخ ومجادلات : دينيس بيكان – سيدريك جريمو ، ترجمة بسنت عادل فؤاد ، ط دار صفصافة ( القاهرة) بدون تاريخ ، ص ١٥ وما بعدها

عمر الأرض في الكتاب المقدس لا يتجاوز ستة آلاف سنة، وهذه الإشكالية لا ترد على التقرير الإسلامي الذي لا يحد عمر الأرض بهذا القدر المحدود من السنين.

الثانية: قصة خلق الإنسان، والمتمثلة في خلق آدم عليه السلام، والذي كان خلقه مباشرا دون وجود عملية تطورية، وهذه هي الإشكال الأكبر الذي اصطدمت فيه هذه النظرية بالأديان السماوية كلها[١].

ونظرية التطور بوضعها الراهن لم تعد قاصرة على محاولة تفسير الجانب الحيوي العضوي الخالص للحياة، وإنما توسعت حتى اخترقت حقولا أخرى كعلم الاجتماع والنفس والأعصاب والثقافة، فصار هناك علم الاجتماع التطوري، وعلم النفس التطوري، وعلم الأعصاب التطوري[٢].

هـ- وقد مثلت الداوينية خطراً داهماً يتهدد العقائد الدينية التي تسلم بالخلق المباشر والتدبير الإلهي المتجدد للخلق والمخلوقات، "إن انتصار نظرية التطور يعني نهاية الإيمان التقليدي بأن خلق العالم قد رتب لغاية وهدف، وهو ما يسمي بالرؤية الغائية (teleological out look) التي سيطرت علي العالم الغربي لمدة ألفي عام خلت .... واسبدلت مفاهيم الخلق المباشر بالصدفة والانتخاب الطبيعي"[٣].

وقد تحولت هذه النظرية من نظرية علمية إلى عقيدة وأيديولوجيا، وأصبحت تدرس في الجامعات على أنها حقيقة لا تقبل النقاش، ولا يسمح بالاعتراض عليها أو التشكيك فيها، حتي أصبحت نظرية التطور في المجال البيلوجي وامتدادها في الفكر والاقتصاد والأديان والاجتماع وغيرها من فروع المعارف التي بنيت علي أساس التطور كفكرة، أصبحت عقيدة من أقوي العقائد العلمانية في الغرب ومن تأثر بهم في أنحاء العالم، "فالماركسية والتطورية هما أعظم العقائد العلمانية في وقتنا الحاضر، وكل منهما يحمل نفس الملامح الدينية ..، ويختلفان عن العقائد

(١)ليطمئن عقلي : مرجع سابق ،(ص١٧٧-١٧٨)انظر بعض مجالات توظيف الداورينية التطورية في كتاب أين أخطأ داروين : جيري فودور- ماسيمو بيتالي بالماريني ، ترجمة وتقديم خالد بن عبد الرحمن الشايع وزميله ، ط دار رواسخ ( الكويت) أولي ٢٠١٩ م ، ص ٦ .

(٢) ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان: مرجع سابق ، (ص٤٥-٤٦).

٣ - التطور نظرية في أزمة: مايكل دينتون، ترجمة آلاء حسكي وزملاؤها، ط. مركز براهين (الرياض)، أولي، ٢٠١٧م، ص ١٦.

المحلية المعارضة في كونهما يقدمان منظومة فكرية جريئة مصممة من أجل توضيح وتبرير أفكارهما والدفاع عنها؛ أي باختصار أيدلوجيات"[١].

وقد تأثر الفكر الغربي أيما تأثر بهذه النظرية، حتي لا نبالغ إذا قلنا إن آثار الداروينية شوهت النظرة الغربية للدين تماماً، ويمكن لنا بيان أهم آثار الداروينية علي الفكر الغربي فيما يلي:

١- رسخت الداروينية فكرة الواحدية المادية الكونية التي تذهب إلى أن العالم إن هو إلا مادة واحدة صدر عنها كل شيء، وهي مادة خالية من الغرض والهدف والغاية، فالعالم طبيعة، والطبيعة لا تعرف الخير أو الشر أو القبح أو الجمال، وكل شيء فإنه يرد إلى المادة.

٢- الإنسان ما هو إلا جزء من هذه الطبيعة وهذه المادة، ولا يوجد إلا قانون طبيعي واحد يسري على الإنسان والأشياء على حد سواء.

٣- الإنسان مثله مثل أي حيوان لا يتمتع بأي حرية ولا يحمل أي أعباء أخلاقية، وكل الأمور نسبية ولا وجود للمطلقات.

٤- ليس هناك غائية لهذا الكون إلا غائية واحدة وهي التطور والبقاء، وهي غاية كامنة في الطبيعة نفسها[٢].

و- ومع كل ما تحمله نظرية التطور من إشكالات علمية وعقدية إلا أنه لا يلزم منها الإلحاد، فداروين نفسه لم ير تلازما بين الإيمان بالتطور وبين الإلحاد، بل صرح بأن وجود الخالق مما دانت به أعظم العقول، وصرح هو بأنه يمكن أن يوصف بأنه ألوهي، ونجد أن فرانسيس كولنز الرئيس السابق لمشروع الجينوم البشري يتراجع عن إلحاده وينظر إلى التطور نظرة إيمانية ويعتبره آية على دقة تدبير الخالق في مخلوقاته، وإنما يتم توظيف نظرية التطور من قبل الملاحدة كما يقومون بتوظيف غيرها من القضايا العلمية التي هي أكثر صحة وثبوت من نظرية التطور مثل فيزياء الكم[٣].

---

١ – رهبان نظرية التطور – هل اتخذ البعض نظرية التطور كدين –: ماري ميد جلي، ترجمة: ناديا عطار – أسماء العصاميصي، ط. دار دوّن (القاهرة) بدون تاريخ، (ص ٣٠ – ٣١).
(٢) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: مرجع سابق، (ص١٠١-١٠٢).
(٣) ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان: مرجع سابق (ص٦٧-٦٨).

ومما سبق يمكن لنا إدراك أبعاد الدعم الذي قدمته نظرية التطور للإلحاد (الجديد). وتكمن استفادة الإلحاد (الجديد) من نظرية التطور ليس في كونها تصرح بالإلحاد، ولكن لأنها تزعزع جميع الأسس التي يقوم عليها الإيمان، وتفتح الباب واسعاً لفراغ يتمدد فيه الإلحاد بلا منافسة أو معارضة ويمكن تلخيص هذه الآثار فيما يلي:

١- هدم الأساس العقلي: فبحسب نظرية التطور فإن قوانين الطبيعة لا تتمتع بأي عقل أو وعي أو حكمة، بل هي كصانع الساعات الأعمى كما يعبر عن هذا ريتشارد دوكينز، وبالتالي فإن ما تنتجه يحمل نفس السمة، ومن هنا فإن العقل الإنساني ليس إلا مجموعة من التفاعلات الكيميائية والمكونات العضوية التي لا يمكن الوثوق بقدرتها على الوعي والإدراك، ما يعني الشك في كفاءة العقل الإنساني، وهذه النقطة استفاد منها ألفن بلانتنجا في الرد على الفلاسفة الداروينيين، حيث ناقشهم بأنه إذا كان العقل قد طورته الطبيعة لتحقيق غاية بقاء النوع كما تفترض الداروينية في صورتها المعيارية فإن هذا يعني أن أحكام العقل الأخرى إما ثانوية أو لا وزن لها، فالتطور أصم أبكم أعمى غير آبه بالقيمة المعنوية لهذه الأحكام، مما يلزم عنه ألا مستمسك لأحد في ثقته بأحكامه العقلية، لأنها - كما تخوف من ذلك دارون نفسه - نتاج عقل متغير بتغير متطلبات استدامة النوع، لكننا نجد اعتداد الناس بثقتهم في ملاحظة قيمة (الحق) سلوكا حاضرا بقوة، بعبارة أخرى: يتملكهم - ملحدين ومؤمنين على حد سواء - شعور اضطراري بأنه يتوجب عليهم أن يثقوا في قيمة أحكامهم، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بالثقة في تميز موقعهم الإدراكي من أصله(١).

ومعلوم أن فقدان الثقة في أحكام العقل يفتح الباب واسعاً أمام العبثية في الفكر واللامنطق في الاستدلال، وإذا فتح هذا الباب صارت الغلبة لمن يملك الصوت الأعلي لا الحجة المقنعة، وهو ما يساعد الإلحاد (الجديد)، ويفتح له آفاق الدعاية دونما معوقات ولا عقبات.

٢- هدم الأساس العاطفي والأخلاقي: فوفقا لنظرية التطور فإن الانتخاب الطبيعي هو صراع مرير يكون البقاء فيه للأقوى والموت للأضعف، أما الحقائق الروحانية مثل العاطفة والرحمة

(١) الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، مجموعة مقالات، ترجمة: مؤمن الحسن، عبدالله الشهري، مركز دلائل، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ (ص١٢٩-١٣٠).

والتوكل فلا مكان لها ولا يعول عليها، فبدلا من التحلي بصفتي التعاون والإيثار يكون المنطق السائد هو التفكير بأنفسنا فقط، وهذا التفكير المادي الجاف يتنافى تماما مع العاطفة الإيمانية التي تقوم على معاني البذل والإيثار والرحمة والتعلق بالله سبحانه وتعالى(١).

كما أن اعتبار الإنسان مجرد حيوان أكثر ذكاء، وهو مثل بقية الحيوانات يعيش على نفس القوانين المشتركة التي تحكمهم جميعا، مما يقلل من أهمية فكرة القيم والأخلاق التي تميز بها الإنسان على غيره من الكائنات على هذه الأرض(٢).

وبهذا يتجرد الدين من أهم ما يميزه عن الفلسفات والنظريات، ويصبح الدين كغيره من النظريات الباحثة فيما وراء الطبيعة، يمكن الاستعاضة عنه بمثيلاته من النظريات، فتضيع قداسة الدين، وتتضعضع مكانته في القلوب، وهذا ما يتغياه الإلحاد (الجديد) تماماً.

٣- هدم الأساس الإيماني: فمن اليسير ملاحظة اللغة التي يستخدمها مؤيدو نظرية التطور عند شرحهم للظواهر الطبيعية، فمثلا يقولون: نشأ الكائن الحي، نشأ عن طريق التطور، اختفت آثاره مع الزمن، اكتسب عن طريق التكيف، ظهر نتيجة الانتخاب الطبيعي، وكل هذه العبارات تشير ضمنيا إلى زعم عدم الحاجة إلى وجود إله(٣)، وهذا يزعزع عقيدة الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، أو على الأقل يرسخ القناعة بعدم وجود الضرورة لإثبات وجوده أو الحديث عنه وعن فعله.

ز- وقد تعرضت نظرية التطور لحملات شرسة من النقد جعلها مجرد فرض علمي لا يمكن البناء عليه والتسليم بنتائج ما يبني عليه، وهذا ما يحرم الإلحاد (الجديد) من الوثوقية في أهم وأكثر أدلته وأسسه شهرة وجاذبية (نظرية التطور) .

**ولعل النقد الأبرز لهذه النظرية هو غياب الدليل العلمي القاطع علي صحتها: فمن المثير للاستغراب أن أشهر نظرية اعتبرها الملاحدة البديل عن التفسير الديني وهي نظرية التطور هي**

---

(١) التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟: عرفان يلماز، ترجمة: رشا حسن، محسن هريدي، دار النيل- مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م. (ص٥٣).
(٢) التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟ : مرجع سابق: (ص٥٧).
(٣) المرجع السابق: (ص٥٦).

باعترافهم نظرية فلسفية أكثر من كونها علمية، كما أنها تحتاج إلى الكثير من الخيال لاستيعابها! وفي هذا يقول دوكينز: "وأعتقد أن أحد متاعب الداروينية هي .. أن كل فرد يعتقد أنه يفهمها، وهي حقا نظرية بسيطة إلى حد ملحوظ، وربما ظن المرء أنها بسيطة على نحو طفولي ... وجماع ما تصل إليه في جوهرها هو ببساطة فكرة أن التكاثر اللا عشوائي في وجود تباين وراثي له نتائج ذات مدى بعيد إذا أتيح لها الوقت لأن تتراكم، على أن لدينا أسسا قوية للإيمان بأن هذه البساطة هي أمر خادع، فيجب ألا يُنسى قط أنه مع ما تبدو عليه النظرية من بساطة؛ إلا أن أحدا لم يفكر فيها قبل داروين ووالاس في منتصف القرن التاسع عشر، بعد مرور ما يقرب من ثلاثمائة عام على كتاب نيوتن (المبادئ) وبعد ما يزيد عن ألفي عام من قياس إيراتوثينيس للأرض، كيف أمكن لفكرة بسيطة كهذه أن تظل زمنا طويلا هكذا دون أن يكتشفها مفكرون من حجم نيوتن وجاليليو وديكارت وليبتنز وهيوم وأرسطو؟ لماذا كان عليها أن تنتظر عالمي أحياء من العصر الفيكتوري؟ ماذا كان الخطأ في الفلاسفة والرياضيين الذين غفلوا عنها؟ وكيف أمكن أن فكرة قوية هكذا ما زالت إلى حد كبير غير مستوعبة في الوعي الشعبي؟"(١).

وهذا اعتراف ضمني بأن الداروينية ليست اكتشافا علميا، وإنما هي نظرية فلسفية، إذ إنه من غير المنطقي أن يقال: لماذا لم يكتشف الناس من قبل الشفرة الوراثية؟ لماذا لم يكتشفوا البنسلين أو الطاقة الكهربائية أو الطاقة النووية؟ لأن الجواب في هذه الحالة واضح ومنطقي وهو: أن الحالة العلمية لم تصل بعد إلى الدرجة التي تؤهل لحصول هذه الاكتشافات في تلك الأزمان. أما تعجب دوكينز فيظهر فيه بوضوح أنه يرى أنه كان من الممكن أن يحصل الاكتشاف الدارويني في تلك الأزمنة البعيدة وذلك لأنه لا يرجع إلى اكتشاف علمي، وإنما يرجع إلى نظرة عقلية وتفكير فلسفي بحت.

ثم يقول: "يكاد يكون الأمر كما لو كان المخ البشري قد صمم على وجه خاص ليسيء فهم الداروينية، وليجدها مما يصعب الإيمان به" وضرب مثلا بقضية الصدفة، ثم قال: "وثمة طريقة أخرى يبدو أنها تجعلنا معرّضين لعدم الإيمان بالداروينية، وهي أن أمخاخنا قد بنيت للتعامل مع

(١) صانع الساعات الأعمى: ريتشارد دوكينز ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي (ص١٥-١٦).

أحداث ذات مقاييس زمنية تختلف جذريا عن تلك التي تميز التغير التطوري، فنحن قد جهزنا لإدراك عمليات تكتمل في ثواني أو دقائق أو سنوات، أو هي في الأعظم تكتمل في عقود، أما الداروينية فهي نظرية عمليات تراكمية بطيئة جدا، حتى أنها تكتمل على مدى يتراوح بين الآلاف إلى الملايين من العقود، وكل أحكامنا الحدسية عما هو محتمل يثبت في النهاية أنها خطأ بقدر مكبر كثيرا، فجهازنا من الشك والنظرية الذاتية للاحتمال هو على حسن ضبطه جهاز يخطئ إصابة الهدف بهامش خطأ هائل، لأنه قد ضبط – ويا للسخرية بواسطة التطور نفسه- بحيث يعمل خلال زمن حياة من عقود قليلة، والهروب من سجن مقاييس الزمن المألوفة يتطلب جهدا من التخيل".

ثم يقول بعدها: "والجانب الثالث الذي يبدو فيه أن أمخاخنا معرضة لمقاومة الداروينية ينشأ من نجاحنا العظيم كمصممين خلاقين، فعالمنا تسيطر عليه روائع هندسية ومن أعمال الفن، وقد تعودنا تماما فكرة أن الأناقة المركبة هي مؤشر على التصميم البارع المقصود، وتطلب الأمر وثبة واسعة جدا من الخيال من أجل أن يرى داروين ووالاس عكس كل حدس أن ثمة طريقا آخر، وأنه ما إن تفهمه فهو الطريق المعقول بأكثر لأن ينشأ التصميم المركب من البساطة البدائية، وكانت وثبة الخيال هذه كبيرة جدا، حتى أنه يبدو ليومنا هذا أن كثيرا من الناس ما زالوا لا يودون القيام بهذا"[١].

ولا يحتاج الأمر لأكثر مما ساقه (كاهن الإلحاد الجديد) دوكينز، للتدليل علي المأزق الكبير الذي يعيشه التطوريون ومن بني موقفه الفكري أو المذهبي علي أقوالهم (كالملاحدة الجدد) مثلاً فغياب الدليل العلمي حسب ما يؤمن به الغربيون يعني فقدان المصداقية، بل عدم الصحة المطلقة، ومن هنا ندرك بطلان استدلال الملاحدة بمثل هذه النظريات العلمية علي الإلحاد (الجديد)، وتهافت مواقفهم الفكرية واختياراتهم الأيدلوجية.

---

(١) صانع الساعات الأعمى: مرجع سابق، (ص١٦-١٧).

# المبحث الثالث

## خصائص الإلحاد الجديد

كما سبق وقدمنا من أن الإلحاد (الجديد) لا يختلف جوهرياً مع الإلحاد (القديم) إن جازت مثل هذه التعبيرات، ولكنه امتاز بكونه ظاهرة لها دفق وزخم إعلامي واسع النطاق، اختلف بها من حيث التكتيك ومرونة الخطاب عن الإلحاد القديم، ويعود ذلك إلي أن الإلحاد (الجديد) إلحاد مؤسسي؛ تقوم علي نشره ودعمه مؤسسات وجماعات تموله وتخطط له[1]، ويمكن لنا رصد أهم هذه الخصائص فيما يلي من مطالب:

---

١ – من هذه المؤسسات: الاتحاد الدولي للملحدين، وهو منظمة عالمية للملحدين تأسست سنة ١٩٩١، يهدف إلى تثقيف أعضائه والمجتمع حول مفاهيم الإلحاد والعلمانيةhttps://www.atheistalliance.org /

## المطلب الأول

## الحماسة في الدعوة إلى الإلحاد

كان الإلحاد على مر تاريخه يميل إلى البعد عن الصدام والمواجهة، وينكفئ أصحابه على أنفسهم ومعتقداتهم، ولا يحرصون على دعوة غيرهم إلى هذا الفكر، إلا أن الأمر اختلف بالنسبة للإلحاد الجديد، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي شكَّلت نقطة تحول كبيرة في مسيرة الإلحاد، وقد صرَّح بعض أقطاب الإلحاد مثل سام هاريس وريتشارد دوكينز بتأثير هذا الحدث على مسيرتهم، وكيف جعلهم يجاهرون بالعداوة والكراهة للأديان، بل وأعلنوها حربا صريحة لا هوادة فيها ضد الأديان وخاصة الإسلام(١).

ويمكننا من خلال تحليل الخطاب الإلحادي أن نرصد أهم أسباب هذه الحماسة في الترويج للإلحاد الجديد والدعوة إليه فيما يلي:

١- اعتقد الملاحدة أن الأديان هي المحفز الحقيقي علي العنف بين البشر، ولذلك يرون في العقائد الإيمانية – أياكانت – تهديداً وجودياً لحياة الإنسان علي كوكب الأرض، فبسبب التعصب المتبادل بين أتباع الأديان من الممكن أن يفني بعضهم بعضاً من خلال استخدام التكنولوجيا المدمرة في مجال التسليح، ومن ثم يرون ضروة محاربة الأديان حتي يقضوا علي التعصب للدين؛ المسبب الوحيد للعنف – كما يظنون – (٢).

هذا التهديد الوجودي الذي يشعر به الملاحدة حفزهم علي بذل مزيد من الجهود لمقاومة الأديان، وجعل هجماتهم أكثر شراسة.

٢- يضاف إلي ذلك ثقة كبيرة في النفس، فهم – حسب ظنهم – يدافعون عن مصير البشرية وبقائها، حيث يبدي أصحاب الإلحاد الجديد ومعتنقوه ثقة تامة في قرار الإلحاد، وضرورته في مواجهة الأديان، "ويتبدى ملمح الثقة عند الملحد من خلال ممارسات معينة، في ظهوره بمظهر الواثق أمام مرأى العالم في الحوارات والمناظرات واللقاءات والمناسبات المعلنة وغير المعلنة،

---

(١) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: مرجع سابق، (ص٢١-٢٢)

٢ – انظر نهاية الإيمان: سام هاريس، ترجمة: محمد سام العراقي، ط ثانية، ٢٠٠٥م، نسخة الكترونية، (ص ١٠ – ١١).

كذلك نجده يتبدى من خلال استعداده التام لخوض أية معركة ضد الدين ... ونجده متبديا أيضا في ظهوره بمظهر القائد الإنساني المتفاني، القلق على مستقبل البشرية، المتأسف على ماضيها، المشفق على حاضرها"(١).

وكان من تأثير هذه الحماسة في الدعوة إلى الإلحاد أن عاد إلى الظهور مجددا وبقوة النقاش حول قضية وجود الله تعالى على مختلف وسائل الإعلام(٢).

٣- يعتقد الملاحدة أنهم كُثر، فهناك في كل مكان أعداد كبيرة من الملحدين المستترين - كما يظنون -، وأن ظهور هؤلاء يحتاج إلى تكثيف الحضور الإعلامي الإلحادي ليكون حافزا ومشجعا لهم على إعلان إلحادهم(٣).

يقول دوكينز: "استطلاعات الرأي الأمريكية تنبئ عن أن عدد الملحدين واللا أدريين في أمريكا أكثر بكثير من عدد اليهود المتدينين، وحتى أكثر من العديد من المجموعات الدينية الأخرى، ولكن على عكس اليهود كونهم الأشهر في مجال اللوبي في أمريكا، وعلى عكس المسيحيين الإنجيليين، وقوتهم السياسية التي تفوق تلك التي لليهود، لا يوجد تنظيم للملحدين واللا أدريين، وبالتالي ليس لهم أي تأثير، لا عجب في ذلك، لأن تنظيم الملحدين سيكون أشبه برعي قطيع من القطط، لأنهم معتادون على التفكير المستقل وعدم الانصياع لأي نوع من السلطة الفكرية، ولكن بناء عدد كاف من الذين يرغبون بإظهار أنفسهم وبالتالي تشجيع الآخرين على عمل الشيء نفسه سيكون جيدا بشكل كاف كخطوة أولى، وبرغم أننا لا نستطيع تنظيم قطيع من القطط ولكن وجود عدد كاف منهم سيؤدي لضجة كافية ولن يكون من الممكن إهمالهم"(٤).

ومن النص السابق ندرك السبب المباشر للشجاعة التي يدأب الملاحدة (الجدد)علي الظهور بها أمام العالم، فهي شجاعة في الظاهر وجبن وخور في الداخل، فليس صحيحاً أن من يمتلك الصوت الأعلي ويحدث ضجيجاً أكثر هو الأقوي والأكثر اقناعاً، ذلك أن أيدلوجية الإلحاد

(١) المرجع السابق: (ص١٦-١٧).
(٢) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: مرجع سابق، (ص٢٣).
(٣) المرجع السابق : (ص٣٨)
(٤) وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م. (ص٦).

(الجديد) أيدلوجية خادعة براقة خالية من المضمون المقنع، ولا تعتمد علي أسس قوية يمكن الركون إليها باطمئنان – كما تبين من خلال البحث –.

فهذه الحماسة ستفتر بعد حين؛ خاصة إذا انشغل العالم عن موجة التطرف التي يرعاها ويؤيدها الغرب لجلب مزيد من المكاسب، ووقف الزحف الإسلامي السلمي في بلدان الغرب، فالإلحاد كما يتبين من خلال كتابات الملحدين الجدد هو المشكلة؛ فيمكنهم التسامح مع المسسيحية أو غيرها من الأديان، ولا يمكنهم ذلك مع الإسلام ذلك أن المشكلة مع الإسلام علي حد تعبير سام هاريس[١].

١ – نهاية الإيمان: مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

## المطلب الثاني

## العدائية الشديدة للدين وأهله

وهذا ما جعل بعض الكتاب الغربيين يصف ظاهرة الإلحاد الجديد بـ(مليشيا الإلحاد)، فالملاحدة الجدد لا يترددون في وصف الدين بأسوأ الأوصاف، واعتباره سببا وأصلا لجميع الشرور في العالم، ومن أمثلة هذا: السلسلة التلفزيونية الشهيرة لريتشارد دوكينز والتي تحمل عنوان: (جذر الشرور كلها) ويعني به الدين، وكذلك كتاب هيتشنز الذي حمل عنوان: (الله ليس عظيما، كيف يسمم الدين كل شيء)[١].

ولا فرق عند الملاحدة بين الدين المعتدل أو المتطرف، فكل أشكال الدين والتدين عندهم مرفوضة تماما، ويهاجمونها على حد سواء، وقد فلسف سام هاريس هذه النظرة الإلحادية السلبية لكل الأديان فقرر تحت عنوان "خرافة الاعتدال في الدين" أنه لا يوجد مكان للاعتدال الديني إلا مع تجاهل معظم النصوص الدينية؛ فهي تؤسس للعنف والتطرف، فلا يوجد اعتدال في الدين إلا مع تجاهلها[٢]، ومجرد كون الشخص يحمل عقيدة دينية (أيا كانت هذه العقيدة) فإن هذا يجعله هدفا لهجومهم، ولن يشفع له أي إنجازات أخرى مهما كانت، حتى ولو كان مؤيدا لهم في بعض الجوانب، ولعل من الأمثلة البارزة لهذا: فرانسيس كولنز، رئيس مشروع الكشف عن الجينوم البشري، فإنه قد تعرض لهجوم شرس من قبل الملاحدة، قاموا فيه بتسفيهه والتحريض عليه بسبب تدينه مع أنه من المتحمسين للدفاع عن نظرية التطور[٣].

ولا يكتفي الملاحدة باستخدام هذه العدائية، بل إنهم يؤصلون لها ويحثون أتباعهم على استخدامها، وقد كتبت المرتدة آيان هرسي علي الصومالية مقالة بعنوان: (حق الإهانة) لتأصيل مبدأ إهانة الأديان وخصوصا الإسلام، وفي أحد التجمعات الإلحادية يختم دوكينز كلمته بقوله: "اسخروا منهم، واستهزئوا بهم علانية، إياكم أن تقعوا في فخ العرف الدارج أننا مؤدبون جدا لنتحدث عن الدين، الدين ليس مرفوعا عن الطاولة، ولا هو خارج عن حدود النقد، الدين يقدم

---

(١) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: مرجع سابق، (ص٤٣)

٢ – انظر نهاية الإيمان: مرجع سابق ، ص ١٤ وما بعدها .

(٣) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: مرجع سابق: (ص٤٥–٤٧)

تصورات معينة عن الكون والتي تحتاج إلى التثبت منها، ينبغي تحديها والسخرية منها باحتقار"[١].

بل حتى الملاحدة لا يسلمون من حالة العداء هذه إذا لم يكونوا عدائيين مثلهم! يقول "جيري وولف" أحد الملحدين: "هذا هو التحدي الذي يقدمه الملاحدة الجدد .. لقد تم نداؤنا نحن اللا أدريين اللينين وغير المؤمنين المراوغين والربوبيين الغامضين نحن الذين سنشعر بالخجل من الدفاع عن السخافات القديمة من جنس ولادة العذراء أو فكرة أن مريم صعدت إلى السماء دون أن تموت، أو أي خرافات سامجة، لقد تم نداؤنا نحن الجالسين على الحياد للمساعدة في التخلص من البلاء المضعف، بلاء الدين. الملاحدة الجدد لن يخلوا سبيلنا ببساطة لمجرد أننا لسنا مؤمنين، إنهم لا يدينون الإيمان بالله فحسب، بل مجرد فكرة احترام هذا الإيمان، الدين ليس خطأ فقط إنه شر"[٢].

وعندما انتقد الفيلسوف الملحد جوليان باجيني بعض ممارسات الملاحدة الجدد هاجموه هجوما شديدا، حتى قال: "لقد تم حرقي كمهرطق من خلال تعليقات الكثيرين على موقع richarddawkins.net ووصفت بأوصاف مختلفة كبرغوث وأحمق وكيس هواء مغرور، وهذا من ١١ تعليق فقط من ٨٣ اطلعت عليها ساعة كتابتي لهذه السطور"[٣].

**وفي مقال لويتلي كوفمان بعنوان: (الإلحاد الجديد ونقاده) يقول إن الملحدين الجدد لم يساهموا إلا قليلا في النقاش من منظور فكري أو علمي، فهم غير مهتمين إلى حد كبير باستكشاف الحجج الفلسفية المؤيدة أو المعارضة للدين، ويصرون على أنه لا يوجد نقاش حقيقي في الواقع.**

**الإلحاد الجديد ليس جديدا في محتواه الفكري، وإنما هو جديد في لهجته الحادة وتطرفه العسكري، ويرصد كوفمان عددا من تعبيرات دوكينز وشرذمته عن الدين:**

---

(١) Richard Dawkins – Reason Rally ٢٠١٢
https://www.youtube.com/watch?v=H٩UKTuuTHEg
(٢) عبدالله بن صالح العجيري، مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، (ص٥٩)
(٣) المرجع السابق : (ص٦٠)

دوكينز: "كاذب"، "كسول وانهزامي"، "حمقى"، "طفولي"، "مقدس"، "عمى مذهل"، "غريب"، "خداع".

ستينجر: "رديء"، "كسول" ، "مشوه"، "غريب"، "مجنون"، "أناني"، "سم الله عاشق السم".

كوين: "سامة"، "غير صادقة"، "عديمة الفائدة"، "خرافية"، "غير صحيحة أبدًا"، "ملتوية"، "مغسولة دماغية"، "مفتعلة"، "جمباز عقلي".

جرايلينج: "الاستعباد العقلي"، "الفلاحون غير المنضبطين"، "الخرافات من الرعاة الأميين"، "الأنانية"، "التاريخ المنقوع بالدم"، "القمعي"، "النفاق"، "مخلفات من الطفولة البشرية"، "دعاية دائما، "هيمنة العقل"، "عمى انتقائي"[(١)].

هذه العدائية للأديان عموماً والإسلام علي وجه الخصوص، هي القاسم المشترك بين جميع الملاحدة المعاصرين مع اختلاف توجهاتهم وما يسلكونه من أدلة في سبيل التدليل علي صدقية مواقفهم واختياراتهم الفكرية والأيدلوجية .

---

) (١(Whitley Kaufman, New Atheism and its critics

https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/١٠.١١١١/phc٣.١٢٥٦٠

## المطلب الثالث

## تحميل الدين جميع الشرور

يؤكد الملاحدة في كل محافلهم أن الدين ليس مفيداً، ولا يجلب الخير للبشرية، "لقد رأينا – يعني الملاحدة – أن الأدلة التجريبية لا تدعم التأكيد الشائع أن الدين مفيد بشكل خاص للمجتمع ككل بالطبع، فقد ثبت كونه نافعاً لأقصي حد لأولئك الذين هم في موقع القوة، حيث يساعدهم في التمسك بالقوة ....، ولكن من غير الواضح أن المجتمع سيكون أفضل مما كان عليه لو أن فكرة الآلهة والأرواح لم تتطور أبداً"(١).

وهذا ما يعبرون عنه بأن الدين يسمم كل شيء، حيث لا يرون للدين أي حسنة ولا خير، بل على العكس يرونه مصدرا لجميع الشرور في الدنيا، ليس فقط في مجال الحروب والقتل بل في مختلف المجالات، ويمارسون انتقائية مقيتة في الاستشهاد ببعض المواقف لبعض المتدينين متجاهلين المواقف المقابلة والتي تحمل الصورة المشرقة للدين(٢).

والأسوأ من هذا أنهم وضعوا طريقة للتعامل مع النماذج الواقعية بحيث يتم تحميل كل ما فيها من شر على الدين، وينسب كل ما فيها من الخير إلى الإلحاد، فمثلا: مارتن لوثر كينغ القس والناشط الأمريكي في مسألة السود، يقول عنه هيشنز: "لم يكن في الحقيقة نصرانيا إلا في الإطار الشكلي" وكأنه يريد أن يقول بان الدين شر كله، ومارتن لوثر لم يكن شريرا، وبالتالي فلا يمكن أن يكون متدينا فعلا(٣).

وبالعكس فعندما تحدث هيشنز عن نموذج الدولة الملحدة الاتحاد السوفييتي حاول أن يقول بأنها في الحقيقة كانت دولة دينية، وأن الاشتراكية تحولت إلى دين ومن هنا بدأت مشاكلها، يريد أن يقول بأن الدين شر والاتحاد السوفييتي كان كذلك، فلا بد إذن أنه كان دولة دينية(٤).

---

١ – الله الفرضية الفاشلة – كيف يثبت العلم عدم وجود الله –: فيكتور ستينجر، ترجمة كمال طاهر، نسخة الكترونية ٢٠١٢م، ص ٢٣٥.

(٢) مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: مرجع سابق، (ص٦٥)

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق: (ص٦٥-٦٦).

فالدين – حسب التصور الملحد – مسؤول عن كل مآسي البشر في تاريخ البشرية الطويل، ويحيلون المستغرب من هذا الادعاء علي التجربة الحية لواقع المتدينين، "فالتجربة تبين أن الدين في كل بلد بعيداً عن أن يساهم في تحسين الأخلاق فهو يزعزعها ويمحقها، إنه يفرق الناس بدل أن يوحدهم؛ فالبشر بسبب معتقداتهم الدينية عوض أن يتحابوا ويمدوا يد المساعدة يتصارعون ويحتقرون بعضهم بعضاً ....، إن اسم الله لم يمثل علي مدي التاريخ إلا ذريعة في الأرض لتبرير أهواء الناس؛ أصحاب الطموح والخداع والاستبداد يستعملونه دائماً لكي يتركوا الناس في وضعية دونية يزرحون تحت سلطتهم الغاشمة"[١].

**يقول ديفيد بيرلنسكي: "لا شيء يمتع العلماء المقتنعين بعدم وجود الإله أكثر من الحديث عن تاريخ الوحشية والاضطهاد الدينيين"[٢]، ثم يعلق على هذا فيقول: "لكن دونك هذه الحقيقة المربكة: لم يكن القرن العشرون عصر إيمان، ومع ذلك كان مروعا: لينين، ستالين، هتلر، ماو، بول بوت، لا يمكن أن يسحبوا ضمن القادة الدينيين للبشرية ... خلال القرن التاسع عشر وبينما كان المعتقد الديني ينحسر خارج مؤسسات الثقافة الغربية انتاب الشعراء والفلاسفة إحساس مزعج بأن انحساره مؤذن بظهور شر عظيم في العالم، وقد كانوا محقين في هذا"[٣]، ثم أورد ما أسماه بـ(لوحة سعيدة على نحو مدهش!) وهي قائمة بأعداد القتلى في القرن العشرين بسبب الحروب غير الدينية، وبلغت أعداد القتلى فيها قرابة ٢٠٠ مليون إنسان![٤] مع أن هذه القائمة ليست استقصائية وقد ترك ذكر العديد من الحروب والمجازر التي أقيمت تحت شعارات الحرية والديمقراطية والتقدم.**

**ثم يعلق بتعليق طريف فيقول: "إن كريستوفر هيتشنز مستعد لشجب الفاتيكان على تساهله في احتواء هتلر، ولكن ليس لديه ما يقوله بشأن هتلر والهولوكوست أو النازية نفسها، هذا إغفال غريب من كاتب يؤمن بأن الدين يسمم كل شيء"[٥].**

---

١ – تحقيق ما للإلحاد من مقولة : محمد المزوغي ، مرجع سابق ، ص ٤٤٣.

(٢) وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية: ديفيد بيرلنسكي، مرجع سابق، (ص٤٨).

(٣) المرجع السابق: (ص٤٩).

(٤) المرجع السابق: (ص٥٢-٥٥).

(٥) المرجع السابق: (ص٥٨).

## المطلب الرابع

## الهجوم الشرس على الإسلام

مع أن الإلحاد المعاصر ظهر في الغرب، وأكثر من واجهه ودخل معه في سجالات ومناظرات هي النصرانية، إلا أن اللافت للنظر في الإلحاد الجديد هو أنه قد وجه سهامه للإسلام أكثر من غيره من الأديان، وهذا ما يظهر بوضوح في أطروحات دوكينز وهاريس وهيشنز، يقول ديفيد بيرلنسكي: "إن سام هاريس متحمس حماسا خاصا لهذا الأمر – وهو اتهام الدين بالوحشية – حيث يروي في كتابه (نهاية الإيمان) على نحو سافر وبلا كلل طرق التعذيب المستعملة في محاكم التفتيش الأسبانية... وبما أن مثال محاكم التفتيش لم تعد بتلك القوة القادرة على إثارة سخطنا فيبدو أن مثال العالم الإسلامي على استعداد تام في الغالب لتحمل أوزار الانحلال الكبير"(١).

ويقرر سام هاريس أنهم في حالة حرب مع الإسلام، وسيستمرون في هذه الحرب مهما كانت العوقاب، ولن ينجي الإسلام من هذه الحرب إلا بتخلي المسلمين عن كثير من أساسيات الإسلام – وهذا علي حد قوله مستبعد الحدوث، ولذلك فحالة الحرب مستمرة مع الإسلام حتي يتخلي عن رؤيته الكونية المناقضة للرؤية الغربية، يقول سام هاريس: "إننا في حالة حرب مع الإسلام، لا تستطيع أن تخدم أهداف السياسة الخارجية – يعني أنه لا هوادة في هذه الحرب حتي لو تعارضت مع سياسات بلاده الخارجية – لقادتنا السياسين؛ نعترف علناً بهذه الحقيقة ليست مجرد أننا في حالة حرب مع دين سلمي تم اختطافه من قبل المتطرفين، نحن بالضبط في حالة حرب مع رؤية الإسلام للحياة علي وجه التحديد التي وصفت لجميع المسلمين في القرآن وبمزيد من التفصيل في الأحاديث التي تروي أقوال وأفعال نبيهم.

إن المستقبل الذي لا يقف فيه معظم الإسلام والغرب علي حافة الإبادة المتبادلة هو مستقبل يجب أن يتعلم فيه معظم المسلمين تجاهل معظم شريعتهم تماماً كما تعلم معظم المسيحيين ذلك؛ وهذا التحول ليس مضموناً نظراً لتعاليم الإسلام"(٢).

(١) وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية: مرجع سابق، (ص٤٨-٤٩).

٢ – نهاية الإيمان: سام هاريس، مرجع سابق، ص ١٠٧

ويتحدث ويلي كوفمان عن أن كتاب سام هاريس (نهاية الإيمان) على الرغم من أنه نقد "للإيمان" بشكل عام ومن ثم اليهودية والمسيحية والإسلام، في الواقع، فإن معظم انتقادات الكتاب القاسية للدين تستهدف الإسلام يبدأ كتابه بقصة شاب يرتدي سترة انتحارية يستقل حافلة ويفجر نفسه يسألنا هاريس، بناءً على هذه الحقائق، وفصل كامل من الكتاب بعنوان "المشكلة مع الإسلام"، (لا يوجد فصل مماثل للمسيحية أو اليهودية). وفي حين أنه توجد معتقدات جيدة ومعتقدات سيئة في جميع الأديان، إلا أنه يقول: "ينبغي الآن [أي بعد ١١ سبتمبر] أن يكون واضحًا للجميع أن المسلمين لديهم أكثر من نصيبهم العادل من هذا الأخير"، ويقول: "إن الإسلام هو "عبادة الموت الشاملة"،"إن العقيدة المحددة للإسلام هي التي تجعل المسلمين عرضة للعنف". ومن ثم ، يعلن: "نحن في حرب مع الإسلام"[١].

---

) (١(Whitley Kaufman, New Atheism and its critics
https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/١٠.١١١١/phc٣.١٢٥٦٠

## المطلب الخامس

## الانتقال من الإطار الفلسفي النخبوي إلى القاعدة الشعبية

أدرك الملاحدة أن توجيه الدعاية للنخبة المثقفة غير مجدية بالقدر الكافي، فهي تتطلب مزيداً من الدراسات وعبقرية في صياغة الأدلة والمقولات المؤيدة للإلحاد، ونتائجها ليست بالكافية بالنسبة لطموحات الملاحدة الجدد في القضاء السريع والمبرم علي الأديان، ولذلك توجهوا بالدعاية الإلحادية إلي العامة؛ فهم أكثر تأثراً وأسهل قياداً عن النخبة.

يقول بول فيتز: "أثر الكُتَّاب الملحدون الأوائل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر غالبا على النخبة المثقفة حينها، ومع مرور الوقت وصلت تلك الأفكار الإلحادية إلى الجامعات والمجال التخصصي، لكن التصريح بالإلحاد وصل اليوم إلى شريحة أوسع بكثير وأكثر شعبية من المجتمع، كان هذا جزئيا نتيجة للإعلام الجديد (التلفاز والانترنت) لكنه يتبع أيضا نمط انتشار الأفكار الحديثة المتطرفة الأخرى التي تتغلغل ببطء في الثقافة عموما"[(١)].

ولذلك ازدادت أعداد المجاهرين بإلحادهم بعد الحملات المسعورة التي قام بها دعاة الإلحاد، حتي صار الإلحاد (موضة) تكتمل بها وجاهة الإنسان، وتظهر شخصيته من خلال التمرد علي قوانين وشرائع الدين، وهنا يكمن خطر الإلحاد (الجديد) في جذبه مزيداً من الأتباع، واتساع رقعة تأثير أفكار الملاحدة بين قطاعات عديدة من المجتمعات، "فالإلحاد في عصرنا الحالي يختلف عن الإلحاد التاريخي القديم الذي كان مقتصرا على نخبة صغيرة من الفلاسفة أو المفكرين في الصالونات المغلقة، وكان غير منتشر على نطاق واسع بين عوام الناس، أما الآن فنحن نشهد دولا وأمما كاملة تدين بإنكار وجود الله عز وجل أو تتشكك في وجوده، ففي الدول الاسكندنافية مثل السويد والنرويج وفنلندا والدنمارك نجد أن غالبية السكان من الملحدين واللا أدريين، في ألمانيا ٣٠٪ من السكان ملاحدة، في فرنسا ٤٠٪ ملاحدة، وهكذا، فلم يعد الإلحاد حالة نخبوية ضيقة، بل صار لها وجود شعبي وقاعدة عريضة بين أمم من الخلق، فلم يعد من المناسب الآن الكلام عن الإلحاد على أنه شذوذ مجتمعي أو أن الملاحدة أقلية ضئيلة لا يمكن أن يكتب لها

(١) نفسية الإلحاد، إيمان فاقد الأب: بول سي فيتز، ترجمة: مركز دلائل، ط ثانية، ٢٠١٣م (ص١١٢).

الانتشار"[١].

وفي هذا الإطار خرجت أساليب الملاحدة من الأساليب التقليدية ( المقال – الكتاب – المناظرة) إلي ميدان الفضاء الالكتروني بفضاءاته المتعددة ووسائله الكثيرة، فهناك سيل من المواقع الالكترونية والصفحات الخاصة والعامة علي الفيس بوك والتليجرام وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي[٢].

---

(١) الإلحاد للمبتدئين، دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: هشام عزمي، ط. دار الكاتب للنشر والتوزيع، ثانية، ٢٠١٥م (ص٢٥).

٢ – انظر المواقع الإلحادية في الشبكة العنكبوتية – دراسة تحليلية : أحمد حسين العوايشة وزميله، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات – مجلة علمية محكمة – جامعة الزرقاء عمادة الدراسات العليا ( الأردن) مجلد ١٨ – عدد ٢ ، ص ٣٢٨ – ٣٤٢.

وكذلك انظر: الإلحاد في العالم العربي والرد عليه من خلال مواقع الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي – دراسة تحليلية : أمجد قوارشة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية – جامعة آل البيت – مجلد ١٧ – عدد ١ عام ٢٠٢١م.

## المطلب السادس

## الإكثار من استخدام المغالطات المنطقية والوقوع في التناقضات

الخطاب الإلحادي مليء بالمتناقضات والمغالطات العقلية، والمقدمات الخاطئة التي تسلم إلي استنتاجات وأحكام خاطئة وجائرة في نفس الوقت، ومن أمثلة ذلك:

الصورة التي رسمها الملاحدة عن الأديان هي صورة غير صحيحة بإطلاق؛ فقد استندوا فيها إلي التصور اليهودي المسيحي عن الإله، فأحكامهم علي الإله وتصورهم غير صادق علي جميع الأديان كالإسلام مثلاً[1]، وإذا تتبعنا كل الصور النمطية للإلحاد عن الدين، نجدها نتيجة لتصور خاطئ مستمد من غير الدين الإسلامي، وبالتالي لا يلزم المسلمين ولا يمكن توظيفه ضدهم؛ فهم لا يؤمنون بهذه الصورة المشوهة من الدين أصلاً؛ فالتناقض الجلي هو في التعميم من غير استقراء صحيح لكل الأديان.

أما عن المغالطات المنطقية في الخطاب الإلحادي (الجديد) فحدث ولا حرج، ويكفينا في هذا المضمار الاستشهاد بتحليل أحد العلماء الغربيين لخطاب ريتشارد دوكينز (كاهن الإلحاد الجديد) حيث يقول نورمان جيه لوند تحت عنوان: (فضح ريتشارد دوكينز، دزينة من المغالطات المنطقية في وهم الإله) يرصد اثني عشر مغالطة ارتكبها دوكينز[2]، ومن هذه المغالطات:

١- التهديد المستتر: حيث يشير إلى أن العلماء الذين يختلفون معه يمكنهم أن يتوقعوا دفع ضريبة من الملحدين الآخرين من مثل: الازدراء والنبذ.

٢- الهجوم الشخصي: حيث يقوم بالسخرية من شخصيات علمية ومؤسسات أكاديمية وغيرها ويتهمها بكل أنواع الاتهامات السيئة دون أن يقدم دليلا سوى أنهم يختلفون معه.

٣- مناشدة الجهل: فعدم وجود دليل عندي على شيء هو دليل على عدم وجوده، أو إذا لم أستطع تصديق شيء فهو غير موجود.

---

١ - راجع هذه الأوصاف في كتاب تحقيق ما للإلحاد من مقولة: مرجع سابق، ص ٤٤٣ .

(٢) (Richard Dawkins Debunked: A Dozen Logical Fallacies in The God Delusion, by Norman J. Lund:
http://www.mountainretreatorg.net/apologetics/richard-dawkins-debunked.shtml

٤- الجاذبية الشعبية: فيفترض دوكينز أن التطور الإلحادي يجب أن يكون صحيحا، بسبب ما يسميه: الغلبة الساحقة للملحدين بين الفائزين بجائزة نوبل، مع أن هذا ليس بدليل على الحقيقة.

٥-التكبر الزمني: وهو اعتبار أن عمر الاعتقاد دليل على صحته أو بطلانه، كاعتبار أن هذه العقيدة صحيحة لأن الناس قد آمنوا بها لفترة طويلة، أو على العكس: مناشدة الجدة، وهي اعتبار أن حداثة الفكرة دليل على صحتها لأن الناس اليوم أصبحوا أكثر استنارة، وأكثر ما يستخدم دوكينز: جاذبية الجدة، بشكل متكرر.

٦- السلطة الزائفة: حيث يقدم وجهات نظر الملحدين على أنها ذات سلطة جادة ومصداقية، بخلاف آراء المتدينين التي يقلل من شأنها ويعتبرها تافهة.

٧- رجل القش: وذلك من خلال تشويه الموقف والرأي والصورة الحقيقية للخصم، ولعل هذه من أبرز المغالطات التي يستخدمها دوكينز، ومن أصرخ الأمثلة لهذه المغالطة التي يرتكبها: حديثه عن الله تعالى، حيث يقول عما يسميه (إله العهد القديم): "يمكن القول إنه أكثر شخصية كريهة في كل الأدب العالمي، غيور وفخور بغيرته، ظالم، متسلط، وغير متسامح، محب للانتقام، متعطش للدم، ومحب للتطهير العرقي، كاره للنساء والمثليين، عنصري، قاتل للأطفال، يقوم بتطهير عرقي، قاتل لأبنائه، مسبب للأوبئة، مجنون بالعظمة، سادي ومازوشي في آن واحد، متنمر، نزق وحقود" وهنا ثلاث ملاحظات في هذا الكلام:

١- أنه يضعه منذ البداية كشخصية خيالية يقارنها بالشخصيات الشريرة في الأدب العالمي، فيضع وهميته كمقدمة أساسية، ثم يصل إلى أنه وهم، وهذه مغالطة.

٢- أنه لا يقدم الإله كما يؤمن به المؤمنون بل يقدمه كما يفعل الناقد، فهو قد انتقى الصفات التي يريد نقدها، لكنه لم يقدم الصفات الأخرى المخالفة والموجودة في نفس المصدر، لكنه يتجاهلها لأنه لا تخدمه في صنع (إله القش) الذي يريده.

٣- أن هذا كله ليس له علاقة بموضوع وجود الله تعالى، فكون الإله لطيفا أو غير لطيف ليس له علاقة بمسألة الوجود.

"فاستراتيجية (إله القش) هذه يمكن اعتبارها منهجا ثابتا عند دوكينز، يتم التركيز على مساوئ المتدينين ومساوئ التجربة الدينية بالعموم، ويتم استبعاد أي صفة معاكسة لتقديم إله القش أو دين القش، الذي يمكن نقده والهجوم عليه بطريقة أسهل مما لو قدم بطريقة كاملة، هكذا فالدين لم يجلب إلا الحروب والتعاسة والمآسي البشرية، ولم ينتج إلا أشخاصا إما قدريين مستسلمين لأقدارهم أو مستغلين للدين لكي يحققوا مكاسب، ويختصر تاريخ الأديان في العالم على هذا النحو، كما لو أنه لم ينتج أي أشياء إيجابية مرتبطة بالأديان"(١).

وكمثال للتناقض الذي يقعون فيه يتساءل "انتوني فلو" عن سؤال دائما ما يكرره ريتشارد دوكينز وهو: من خلق الله؟ ويقول: "من الواضح أن الموحدين والملحدين يتفقون على شيء واحد، وهو أنه إذا كان هناك شيء ما موجود فلا بد أن هناك من سبقه، وأنه دائم الوجود، ولكن كيف جاءت هذه الحقيقة الأبدية؟"(٢)، فالسؤال نفسه يتضمن حجة على الملحد الذي يحتج بهذا السؤال، وهذا يبرز حجم التناقض الذي يقعون فيه وهم لا يشعرون.

**وفي لقاء مفتوح مع دوكينز تحدث عن احتمالية وجود صيغ أخرى من الحياة في هذا الكون، وتحدث ضمن ذلك عن أن الحياة كما نعرفها ليست بالضرورة هي شكل الحياة في هذا المكان الآخر من الكون، قال: ربما كانت لا تحتاج إلى البروتين أو الكربون أو أي من العناصر الأساسية للحياة في كوكبنا، ربما كانت هناك عناصر أخرى لا نعرفها في ذلك الكوكب هي التي تشكل الحياة هناك، وقال: ربما كانت قوانين الحياة على الأرض غير قابلة للتطبيق على ذلك الكوكب، فتسأله محاورته: إذا كانت قوانين الحياة على الأرض غير قابلة للتطبيق على الحياة في مكان آخر، فلماذا تحاول تطبيقها على الله؟ فيتهرب من الجواب(٣).**

كذلك أيضا السؤال المشهور الذي يتداوله الملاحدة وهو: هل يستطيع الإله أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟ والسؤال ينقض نفسه بنفسه، فإن من الطبيعي أن من يخلق صخرة من العدم

(١) ليطمئن عقلي: مرجع سابق، (ص٢١٠-٢١١).
(٢) هناك إله، انتوني فلو، (ص١٩٥)
(٣) Richard Dawkins on the origins of life . https://www.youtube.com/watch?v=wa٥٥s٩Gs_Eg ليطمئن عقلي (ص٢٢٣-٢٢٤).

ويوجدها قادر على حملها من باب أولى(١).

مما سبق تبين لنا مدي تناقض الخطاب الإلحادي (الجديد) وخروجه عن مقتضيات العقول السليمة، والأساليب القوية في الجدال والمناظرة، وتعد هذه السقطة الإلحادية نقطة ضعف خطيرة في بناء النسق الإلحادي (الجديد)، ولذلك سعي أحد كبار الملاحدة في العصر الحديث (مايكل مارتن) صياغة أدلة منطقية يؤكد بها علي منطقية الإلحاد، ومعقولية قضاياه في كتابه (الإلحاد تعليل فلسفي) يقول فيه: "لقد بدا لي بوضوح تام في ضوء الأدلة أن: عدم الإيمان في الإله له قابلية أكثر من الاعتقاد"(٢)

ولكن هيهات أن يقوي بيت العنكبوت ليماثل قفصاً من فولاذ، هيهات ثم هيهات، فبناء الإلحاد أوهي من بيت العنكبوت مهما حاولوا تقويته، ذلك أن أسسه في نفسها ضعيفة ولا تقوي علي حمل هذا البناء الضخم، صاحب الادعاءات الواسعة التي يعوزها الدليل والبرهان.

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أوسهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى القبول والستر في الدنيا والآخرة.

---

(١) الإلحاد، وسائله، وخطره، وسبل مواجهته: صالح سندي، ط دار اللؤلؤة، أولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م. (ص٥٤).
٢ – Atheism ,A philosophical Justification : Michael Martin ,temple university press Philadelphia .usa, وراجع الترجمة العربية للؤي عشري تحت عنوان (الإلحاد تعليل فلسفي) نسخة الكترونية، ص ١٣.

# الخاتمة والتوصيات والنتائج

يمثل الإلحاد ظاهرة خطيرة علي استقرار المجتمعات المسلمة، فهو يمثل تحديا وجودياً يهدد الهوية الإسلامية للمجتمعات، وتحدياً شديد الخطورة للأمن القومي للبلدان المسلمة، فالملحد لا يدين بأي قيمة ولا يتقيد بأي مبدأ، ومن ثم فيسهل عليه خيانة مجتمعاته وأوطانه.

والإلحاد (الجديد) بما له من زخم إعلامي وموارد ضخمة هو التحدي الأكبر للإسلام في العصر الحديث، فقد تبين من خلال البحث أن الإلحاد (الجديد) يضع ضمن أهم أولوياته مهاجمة الإسلام والنيل منه، ولذلك كان من الأهمية بمكان تناول هذه الظاهرة والتعرف علي أسبابها وأسسها وخصائصها، ليسهل بعد ذلك مواجهتها والتغلب عليها.

## أهم النتائج :

١- تبين أن الإلحاد الجديد - علي العكس مما يروج له الملحدون - هو استمرار لموجات الإلحاد القديمة، ويختلف عنها في استراتيجية العمل والدعاية فقط.

٢- الدور الكبير الذي لعبته النظريات العلمية وتوظيفاتها المتعددة في تدعيم بنية الإلحاد الجديد.

٣- البيئة الغربية كانت بيئة مناسبة لنمو وازدهار الإلحاد، علي العكس من البيئة الإسلامية؛ فهي بيئة طاردة للإلحاد، ولذلك فهي ظاهرة لا زالت بحمد الله هامشية في المجتمعات الإسلامية.

٤- من أهم أسباب الإلحاد في المجتمعات العربية المعاصرة، الانبهار بالغرب ومحاولة الإسقاط الجائر لظروف الغرب ومنتجاته علي البيئة الإسلامية.

## أهم التوصيات:

١- فتح الباب واسعاً أمام الدراسات الأكاديمية الجادة لنقد الإلحاد، والتأصيل لخطاب إيماني يدحض افتراءات الملاحدة.

٢- غرس الثقة في النفس لدي الشباب والباحثين في المجتمعات الإسلامية بدينهم وتراثهم، والتعالي عن الشبهات والمحبطات التي يرمي بها الملاحدة في طريقهم.

٣- تدشين مواقع اليكترنية متخصصة لتعقب الملاحدة والرد عليهم، وتصميم برامج تدريبية لكوادر العمل الإسلامي لمواجهة المد الإلحادي المتنامي.

## قائمة المصادر والمراجع:

١. الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان: وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة.
٢. إطلاق سراح العلم – كيف نحرر العلوم التجريبية من القيود-: روبيرت شيلدريك، ترجمة: ناديا عطار – أحمد يوسف، ط دار دون للنشر والتوزيع (القاهرة)
٣. الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج: محمد ناصر، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.
٤. الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، مجموعة مقالات، ترجمة: مؤمن الحسن، عبدالله الشهري، الناشر: مركز دلائل، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ
٥. الإلحاد تعليل فلسفي: مايكل مارتن، ترجمة لؤي عشري نسخة الكترونية.
٦. الإلحاد في العالم العربي والرد عليه من خلال مواقع الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي – دراسة تحليلية: أمجد قوارشة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية – جامعة آل البيت – مجلد ١٧ – عدد ١ عام ٢٠٢١م .
٧. الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، ط دار سينا (القاهرة)، دار الانتشار العربي (بيروت)
٨. الإلحاد للمبتدئين، دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: هشام عزمي، دار الكاتب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٥م.
٩. الإلحاد مشكلة نفسية :عمرو شريف، نيوبوك للنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
١٠. الإلحاد والاغتراب : باتريك ماسترسن، ترجمة هبة ناصر، مراجعة إبراهيم الموسوي، ط المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت) أولي ٢٠١٧م
١١. الإلحاد، وسائله، وخطره، وسبل مواجهته: صالح سندي، دار اللؤلؤة، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١٢. انتحار الغرب: ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٣. التاريخ : إعداد محمد الهلالي – عزيز لزرق ، ط دار توبقال للنشر (الدار البيضاء – المغرب)، أولي ٢٠١٤م

١٤. تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧م: رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٥. التاريخ الموجز لمحاكم التفتيش بإسبانيا: جوزيف بيريز، ترجمة: مصطفي أمادي، مراجعة زينب بناية، ط دار كلمة (أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ) أولي ٢٠١٢م .

١٦. تحقيق ما للإلحاد من مقولة: محمد المزوغي ، ط منشورات الجمل (بغداد – بيروت) أولي ٢٠١٤م

١٧. تدني الإلحاد : محمود حيدر مقال ضمن مجلة الاستغراب – مجلة فصلية – عدد ٧ السنة الثالثة ٢٠١٧م

١٨. التطور مقدمة قصيرة جداً: برايان تشارلزوورث – ديبورا تشارلزوورث، ترجمة محمد فتحي خضر، مراجعة هبة غانم، ط دار هنداوي (القاهرة) أولي ٢٠١٦م

١٩. التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟ : عرفان يلماز، ترجمة: رشا حسن، محسن هريدي، دار النيل– مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢٠. التطور نظرية في أزمة : مايكل دينتون، ترجمة آلاء حسكي وزملاؤها، ط مركز براهين (الرياض) أولي ٢٠١٧م

٢١. ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان: عبدالله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات– بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

٢٢. الجينة الأنانية: ريتشارد دوكينز، ترجمة: تانيا ناجيا، دار الساقي– لبنان بالاشتراك مع مركز البابطين للترجمة– الكويت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٢٣. خرافة الإلحاد: عمرو شريف، ط دار الشروق (القاهرة) أولي ٢٠١٤م

٢٤. الدين محور الشر: سارة آدم، مقال ضمن مجلة الملحدين العرب – مجلة شهرية رقمية – عدد ٤ عام ٢٠١٣م

٢٥. الدين والتحليل النفسي: إيريك فروم، ترجمة: فؤاد كامل، ط دار غريب (القاهرة) بدون تاريخ.

٢٦. رهبان نظرية التطور – هل اتخذ البعض نظرية التطور كدين – : ماري ميد جلي،

ترجمة ناديا عطار – أسماء العصاميصي، ط دار دوّن (القاهرة) بدون تاريخ.

٢٧. ريتشارد دوكينزعالم غير أفكارنا: تحرير آلان جرافن – مارك ريدلي، ترجمة زينب حسن البشاري، مراجعة هبة نجيب مغربي، ط دار كلمة (أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة) أولي ٢٠٠٨م

٢٨. صانع الساعات الأعمى: ريتشارد دوكينز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي.

٢٩. عقائد المفكرين: عباس محمود العقاد، ط دار هنداوي (القاهرة)

٣٠. عقائد المفكرين في القرن العشرين: عباس محمود العقاد، دار المعارف– القاهرة.

٣١. العلم في منظوره الجديد: روبرت م. أغروس – جورج .ن ستانيسو، ترجمة كمال خلايلي، ط عالم المعرفة (الكويت) عدد ١٣٤ عام ١٩٨٩ م

٣٢. علم نفي اللاهوت: ميشيل أونفري، ترجمة مبارك العروسي، منشورات الجمل (كلونيا – ألمانيا، بغداد – العراق) أولي ٢٠١٢م

٣٣. على أطلال المذهب المادي: محمد فريد وجدي، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين– مصر، الطبعة الثانية ١٩٣١م.

٣٤. علي أطلال المذهب المادي: محمد فريد وجدي، ط مطبعة دائرة معارف القن العشرين (مصر) ١٩٣١م

٣٥. فكرة التقدم: ج.ب. بيوري، ترجمة: أحمد حمدي محمود، المجلس الأعلى للثقافة– مصر، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م

٣٦. فلسفة التاريخ عند فيكو: عطيات أبو السعود، ط دار هنداوي (القاهرة) ٢٠٢١م

٣٧. فلسفة التقدم: دافيد مارسيل، ترجمة: خالد المنصوري، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة.

٣٨. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: عبدالوهاب المسيري، دار الفكر– سوريا، دار الفكر المعاصر– لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

٣٩. في فلسفة التاريخ: أحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة الجامعية– الإسكندرية، ١٩٧٥م.

٤٠. لماذا نحن هنا، تساؤلات الشباب حول الوجود والشر والعلم والتطور: إسماعيل عرفة، مركز دلائل– الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٤١. الله الفرضية الفاشلة – كيف يثبت العلم عدم وجود الله – : فيكتور ستينجر، ترجمة كمال طاهر، نسخة الكترونية ٢٠١٢م
٤٢. الله والفيزياء الحديثة: بول دافيز، ترجمة هالة العوري، ط دار صفحات للنشر والتوزيع ( دمشق) أولي ٢٠١٣م
٤٣. ليطمئن عقلي، الإيمان من جديد بمواجهة إلحاد جديد: أحمد خيري العمري عصير الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.
٤٤. المادية مقاربة نقدية في البنية والمنهج: نبيل علي صالح، ط المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (بيروت) أولي ٢٠١٨م
٤٥. مبادئ ميكانيكا الكم : بول ديراك، ترجمة محمد أحمد العقر– عبد الشافي فهمي عبادة، ط دار كلمة (أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة) أولي ٢٠١٠م
٤٦. محاكم التفتيش: رمسيس عوض، ط دار الهلال ( القاهرة) ٢٠٠١م
٤٧. محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها: علي مظهر، ط المكتبة العلمية (بون بيانات).
٤٨. مستقبل وهم : سيجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي، ط دار الطليعة (بيروت) رابعة ١٩٩٨م
٤٩. مشكلة الشر: دانيال سبيك، ترجمة: سارة السباعي، ط المركز القومي للترجمة (القاهرة) أولي ٢٠١٦م
٥٠. مشكلة الشر ووجود الله، الرد على أبرز شبهات الملاحدة: سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ– ٢٠١٦م.
٥١. معرفة الإسلام: علي شريعتي، ترجمة: حيدر مجيد، دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.
٥٢. معضلة الشريين علم الكلام والفلسفة : محمد بو هلالة ، مجلة مدارات فلسفية – مجلة علمية محكمة – تصدرها الجمعية الفلسفية المغربية – عدد ١٣ عام ٢٠٠٦م.
٥٣. المفصل في فلسفة التاريخ – دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية –: هاشم يحيي الملاح ، ط دار الكتب العلمية (بيروت)
٥٤. ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للتعليم

والثقافة.
٥٥. مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
٥٦. مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبدالله بن صالح العجيري، ط. تكوين للدراسات والأبحاث، ثانية ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ص ١٧
٥٧. المواقع الإلحادية في الشبكة العنكبوتية - دراسة تحليلية: أحمد حسين العوايشة وزميله، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات - مجلة علمية محكمة – جامعة الزرقاء عمادة الدراسات العليا (الأردن) مجلد ١٨ – عدد ٢ ،
٥٨. موقف القرآن الكريم من الفكر المادي: محمد طالب مدلول، ط دار الكتب العلمية (بيروت)، ص ٢٥ .
٥٩. نشأة الفلسفة العلمية: هانز ريشنباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية.
٦٠. نظرية التطور تاريخ ومجادلات : دينيس بيكان – سيدريك جريمو، ترجمة بسنت عادل فؤاد، ط دار صفصافة ( القاهرة) بدون تاريخ
٦١. نفسية الإلحاد، إيمان فاقد الأب: بول سي فيتز، ترجمة: مركز دلائل، مركز دلائل، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.
٦٢. نهاية الإيمان: سام هاريس، ترجمة محمد سام العراقي، ط ثانية ٢٠٠٥م ، نسخة الكترونية
٦٣. نيوتن مقدمة قصيرة جدا: روب أيلف، ترجمة شيماء طه الريدي، مراجعة إيمان عبد الغني نجم، ط دار هنداوي (القاهرة) أولي ٢٠١٤م.
٦٤. هناك إله، كيف غيّر أشهر ملحد رأيه: انتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، حقوق الطبع للمؤلف، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٦٥. وهم الإلحاد: عمرو شريف، تقديم د/ محمد عمارة، هدية مجلة الأزهر شهر المحرم عام ١٤٣٥هـ
٦٦. وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م
٦٧. وهم الإله: ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، إصدار تجريبي ٢٠٠٩م.

٦٨. وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية: ديفيد بيرلنسكي، ترجمة: عبدالله الشهري، مركز دلائل، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

## المواقع الالكترونية والمجلات والكتب الأجنبية

٦٩. – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا):
٧٠. The Religion of Scientism, Don Watson –
٧١. https://hilgart.org/enformy/Religion_of_Scientism.htm
٧٢. Militant atheism – :
٧٣. https://www.youtube.com/watch?v=VxGMqKCcN٦A
٧٤. – مقال بعنوان: تحرير العلم: كتاب للدكتور روبرت شلدريك
٧٥. http://worthy-of-reading.blogspot.com/٢٠١٦/٠٧/blog-post.html
٧٦. Pew Research Center –
٧٧. https://www.pewforum.org/٢٠٠٩/١١/٠٥/scientists-and-belief/
٧٨. –هل العلم التجريبي يؤدي إلى الإلحاد؟ يونس نظيف، موقع مركز يقين:
٧٩. https://cutt.ly/Egebgne
٨٠. – Richard Dawkins – Reason Rally ٢٠١٢
٨١. https://www.youtube.com/watch?v=H٩UKTuuTHEg
٨٢. Whitley Kaufman, New Atheism and its critics –
٨٣. https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/١٠.١١١١/phc٣.١٢٥٦٠
٨٤. Richard Dawkins Debunked :– A Dozen Logical Fallacies in The God Delusion, by Norman J. Lund:
٨٥. http://www.mountainretreatorg.net/apologetics/richard-dawkins-debunked.shtml
٨٦. Atheism ,A philosophical Justification : Michael Martin ,temple university press ,Philadelphia .usa

# الفهرس

## المحتويات